الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كليـــة العلوم الإنسانيـــة والعلوم الإجنماعيـــة

قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

موسومة بـــ:

المستشرقات الفرنسيات ودورهن في كتابة تاريخ الجزائر (1830–1927م) إيفون تيران_ايميلي ماري جواشون _أنموذجا_

من إعداد الطالبتين :

- **ترجمان صبرين**
- **بومدين أسماء**

بإشراف الأستاذة الدكتورة:

_ لزغم فوزية

أعضاء لجنة المناقشة:

دة حباش فاطمة	جامعة ابن خلدون	رئيسا
دة لزغم فوزية	جامعة ابن خلدون	مشرفا ومقررا
دة حمري ليلى	جامعة ابن خلدون	مناقشا

السنة الجامعية: 1443–1444هـ/2022–2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الـشكــر والـعــرفــان

قال الله تعالى «من يشكر فإنما يشكر لنفسه» [لقمان الآية 12].

وقال أفضل خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم «من لم يشكر الناس، لم يشكر الله عز وجل»

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في اتمام هذه المذكرة و وهب لنا نعمة العقل و العزيمة .. فالحمد لله حمدا كثيرا

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير الى الأستاذة المشرفة لزغم فوزية لقبولها الإشراف على هذه المذكرة و دعمها وتوجيهاتها القيمة التي ساعدتنا كثيرا فجزاها الله خير الجزاء.

الشكر الخاص إلى كل أساتذة العلوم الإنسانية عامة و أساتذة أعضاء لجنة المناقشة خاصة، الذين تفضلوا بتقييم وتقويم هذا العمل.

كما يشرفنا أن نتوجه بأسمى الشكر والإمتنان الى الأستاذ فرحات عبد القادر الذي قدم لنا العون و لم يبخل علينا بشيء وفضله سيظل فوق رؤوسنا..

نتوجه بخالص الشكر إلى كل من كان لنا سندا وعونا الأخت عالية، الأخ عيسى وجلال

و في الأخير تعجز كل الكلمات الشكر أمام عظمة الــوالــديـــــن فلكم كل...الشكر على كل الدعم المعنوي و المادي.

إهـــــــداء.

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه و الأجمل أن يهدي الغالي للأغلى

هي هدية أهديها إلى:

من بها أعلو و عليها أرتكز إلى القلب المعطاء والدتي العزيزة

إلى والدي العزيز الأب الحنون

أطال الله في عمرهما

إلى أخي مُحَّد واخواتي فدوى و ملاك

إلى كل عائلتي

شكرا لمن أضاءت قناديل العلم إلى أستاذتي كلمة شكرا لكي لا تكفي

إلى كل اللذين تركوا بي أشياء سعيدة جعلتني ابتسم ورفيقات دربي...وفرينكس و بنات خالتي كانوا سندا لي

والى وطني الغالي وأرواح الشهداء

لكم جميعا أهدي عملي...

صبـريـن

إهـــــداء

الى الذي دعمني في مشواري الدراسي وعلمني أن العلم والأدب يعادلان كنوز الكون "أبي الغالي"

الى التي حمتني ومنحتني الحياة وأحاطتني بحنانها ودعواتها التي لا تنتهي "أمي الغالية"

الى من كانوا لي عونا وسندا في هذه الحياة وملئوا على البيت فرحا وسرورا إسماعيل، عبد الباسط، أمينة.

الى العائلة الكريمة والى من جمعتني بهن دروب الدراسة ترجمان صابرين، شيماء وسوهيلة.

الى كل من نساهم قلمي لكن لم ينساهم قلبي.

♡ أهديكم جميعا ثمرة جهدي ♡

أسماء.

قائـــــــــمة المخـــــتصرات

قائمة المختصرات باللغة العربية		قائمة المختصرات باللغة الأجنبية	
المختصر	دلالته	المختصر	المدلول
ص	صفحة	OP. cit	Opus citatu
ط	طبعة	Ibid.	Ibidem
ج	جزء	Y	Volume
ع	عدد	P	Page
م	مجلد	N°	Numèro
تر	ترجمة	EPHE	Pratique des hautes études
م	ميلادي		
هـ	هجري	CNRS	Centre national de la recherche scientifique

مقدمة

كانت علاقة الغرب بالشرق علاقة أزلية منذ بداية الاحتكاك بين الحضارتين، العربية الإسلامية والغربية المسيحية و هذا الاحتكاك هو الذي فتح النوافذ بين الطرفين فكان من أبرز ملامحه ظهور رغبة الغرب في معرفة الشرق، من هنا برز الإستشراق كخلفية فكرية تغذيها عواطف استكشافية نحو حضارة متطورة تقع في الضفة شرقية تمتلك التاريخ عريق .

لقد تعدد الإستشراق من حيث المفهوم و الدوافع و الوسائل حسب تعدد البلدان الأوربية المستشرقها ، فالاستشراق الفرنسي مثلا يختلف عن الإستشراق الانجليزي وكلاهما يختلفان عن الإستشراق الامريكي ، وما يربط بينهم سوى قاسم واحد مشترك وهو موضوع "الحضارة الإسلامية بكل جوانبها"، ولعل أكثر المدارس الاستشرافية اهتماما بالعالم الإسلامي وحضارته هيا مدرسة الإستشراق الفرنسي و ذلك لما لفرنسا من مكانة دينية وسياسية وثقافية في الغرب، ضف إلى ذلك ارتباطها الوثيق مع الشرق ودوله منذ ألاف السنين عبر مراحل تاريخية كثيرة من أبرزها المرحلة الاستكشاف و مرحلة الاستعمار.

الجزائر كبلد شرقي كان لها نصيب من الدراسات الإستشراقية قبل الحملة الفرنسية وبعدها و من هنا يمكن القول أن الإستشراق الفرنسي في الجزائر مر بثلاث مراحل متباينة كانت المرحلة الاولى بمثابة تهيئة لأرضية للاحتلال أما الثانية كانت بمثابة عصر التنوير وخاصة بعد إنشاء المدارس التي مهدت لتأسيس جامعة الجزائر في سنة (1909م) ثم المرحلة الثالثة التي تميزت بالتراجع في نشاط الإستشراق لاسيما بعد ظهور حركات التحرر في البلدان المستعمرة كالثورة التحريرية في الجزائر (1954م).

ليس الهدف من هذا الموضوع هو تقديم دراسة للمدرسة الاستشرافية الفرنسية في الجزائر و إنما تهمنا جهود المستشرقين والمستشرقات بصفة خاصة لما بذلوه من جهود في تحليل المجتمع الجزائري خاصة لتعرف على مكوناته في كافة المجلات وعلى هذا الأساس جاء موضوع مذكرتنا موسوما ب: "المستشرقات الفرنسيات ودورهم في كتابة تاريخ الجزائر ايفون تيران و اميلي ماري جواشون نموذجا".

أجرت ايفون تيران أبحاثها حول الجزائر منذ بداية الاحتلال فأنتجت العديد من الأعمال من بينها كتاب "المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة(1830-1888م) "، كان عبارة عن دراسة تاريخية سوسيولوجية فلسفية تهدف لإبراز السياسة الاستعمارية التي انتهجتها الحكومة الفرنسية للتعامل مع المجتمع الجزائري من اجل إخضاعه بطرق سلمية غير السلاح و دراسة ردود أفعالهم إزاء هذه السياسة ، أما ايميلي ماري

جواشون فقد أصدرت كتابا بعنوان" الحياة النسوية في مزاب 1927م"، الذي يعتبر شهادة تاريخية من شخصية أجنبية عاصرت النساء المزابيات واستطاعت أن تنقل لنا كثيرا من الأحداث التي تساعدنا على استعادة المشهد النسوي في تلك الحقبة التاريخية من ذلك الوادي ، وتأتي أهمية هذا البحث في كونها تبحث في نوع أخر من الاستشراق في الجزائر ألا وهو الإستشراق النسوي ومساهماته في دراسة المجتمع الجزائري والتعريف به من كل جوانبه العلمية والحضارية والدينية .

تمحورت إشكالية بحثنا حول سؤال مركزي وهو ما مدى مساهمة المستشرقات الفرنسيات في كتابة تاريخ الجزائر؟ وتنطوي ضمن هذه الإشكالية إشكاليات فرعية تتمثل فيما يلي ما هي الخلفية التاريخية الإستشراق؟ ماهي التطورات التاريخية لبداية الاستشراق الفرنسي؟ من هي ايفون تيران ومن هي ايميلي ماري جواشون؟ وماهي أهم مؤلفاتهم وما مدى موضوعتيهم من خلالها؟

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو عدم وجود دراسة أكاديمية-في حدود علمنا-حول هذا الموضوع ضف إلى ذلك رغبتنا في التعرف على ما قدمته المستشرقتين الفرنسيتين ايفون تيران وايميلي ماري جواشون والوقوف على أسلوبهن في دراسة تاريخ الجزائر و مناهجهن وأهم المجالات التي ركزن عليها في أبحاثهن من ثم الكشف عن دوافع هذا الاهتمام بهذه المجالات وبالتالي التعرف على مقاصدهن و نواياهن من وراء هذه الدراسات .

قبل أن يخرج البحث بالصورة التي هو عليها، اعترضتنا صعوبات عدة منها صعوبة تحصل على كتاب المواجهات الثقافية للجزائر المستعمرة 1830 -1880م في بداية البحث ضف إلى ذلك أن الخلفية المعرفية لم تكن بالقدر الكافي نظرا لقلة المصادر والمراجع في مكتبات ولاية تيارت خاصة تلك التي تتحدث عن تاريخ بني مزاب على عكس المواضيع الأخرى التي توفرت فيها دراسات جمة ومتنوعة وبالتالي الحصول عليها يتطلب التنقل الى ولاية غرداية وهذا ما صعب علينا الأمر اكثر كوننا لسنا على دراية بالولاية و ما فيها من مكتبات، لكن سعينا جاهدين للحصول على بعض منها ولو كانت بالعدد القليل من خلال استعارتها من اساتذة مختصين في المجال أمثال الأستاذ الدكتور فرحات فكل الشكر موصول له.

ومن أجل الإلمام بكافة بجوانب هذا الموضوع استخدمنا عدة مناهج ، أولها المنهج التاريخي الوصفي الذي من خلاله قمنا بوصف خصائص ومميزات الإستشراق بصفة عامة و الإستشراق الفرنسي في الجزائر

بصفة خاصة لكل مرحلة بالإضافة إلى وصف نشاطات و مجلات المستشرقين الفرنسيين في الجزائر، كما استخدمنا المنهج التحليلي لتأكيد من محتوى الكتابان في العديد من نقاط أهمها دراسة و انتقاد المعلومات الواردة فيهما و إثبات مدى صحتها أو زيفها بناء على الرصيد المعرفي حول نفس الموضوع و الكشف عن خلفيات المستشرقتين و اتجاههما الفكري و الإيديولوجي و المذهبي و الفلسفي لنتمكن من الحصول على بعض استنتاجات ومعلومات لنموذج أخر من الإستشراق ألا وهو الإستشراق النسوي.

اعتمدنا في إنجاز لهذا البحث على مجموعة مصادر نذكر من أهمها:

- "كتاب الحياة النسوية في مزاب1927" لإيميلي ماري جواشون الذي يعتبر مصدرا هاما للتراث مزابي احتوى على جزئيين الجزء الأول هو ما تمت ترجمته من طرف الباحثة السيسيولوجيا سامية نور الدين شلاط أما الجزء الثاني فهو عبارة عن تصحيحات وإضافات لما ورد في الجزء الأول، اعتمدنا هذا الكتاب كنموذج لكتابات المستشرقات وقمنا بدراسته دراسة ظاهرية وباطنية مع تحليل أفكاره وأهم محاوره.
- كتاب لجوزيف شاخت كليفود بوزوث وعنوانه" التراث الاسلامي" الذي يبين لنا النضرة الأوروبية اتجاه الدين الإسلامي التي وإن تطورت نتيجة الاحتكاك بالعالم الإسلامي سوآءا عن طريق التجارة وتوسيع الفتوحات الإسلامية او عن طريق الحروب الصلبية إلا أنها تبقى عدائية، كما يرصد لنا هذا الكتاب تأثيرات الإسلام في المجالات الأدبية والفنية في العالم الأخر بنضرة غربية، وقد أفادنا في تتبع مراحل الإستشراق التي اختلفت من مرحلة الى أخرى حسب اختلاف الزمان والمكان.
- كتاب "المرآة" من تأليف عثمان بن حمدان خوجة الذي يعتبر أحد أهم وأثرى مصادر تاريخ الجزائر في المرحلة الممتدة من بداية الوجود العثماني في الجزائر الى غاية بداية الاحتلال الفرنسي، كما أنه بمثل وثيقة تشهد هول الكارثة التي ألحقها الاحتلال الفرنسي على الجزائر العاصمة وما جاورها بعد استسلام داي حسين ورحيله إلى المنفى، وقد أفادنا هذا الكتاب في مسألة التعليم في الجزائر خلال بداية الاحتلال الفرنسي الخاصة بعنصر النقد.
- كتاب" تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر" من تأليف مُحَّد بن الأمير عبد القادر، يعتبر الكتاب من المصادر الهامة في تاريخ الجزائر حيث كتبه بأسلوب أدبي رائع فأبدع فيه ونقل إلينا الكثير كي لا

تطمس هذه المرحلة الرائعة من تاريخ الجهاد الإسلامي التي شبهها البعض بجهاد الصحابة الكرام، وقد أفادنا هذا الكتاب في إبراز دور المقاومة الجزائرية في مناهضة الاستعمار الفرنسي وتصحيح وجهات النظر المختلفة حول أسلوب الجهاد الديني وأهدافه.

- كتاب "مذكرات او لمحة تاريخية عن الجزائر" من تأليف سيمون فايفر الذي عاش في مدينة الجزائر حوالي خمس سنوات، قضاها كلها في قصر الخز ناجي أفندي حيث اشتغل سنتين في مطبخه، يقوم بمختلف الأعمال المنزلية ثم أصبح طبيبه الخاص، فأتاح له هذا المركز الجديد أن يطلع على كل ما جرى في المدينة وضواحيها وذلك بفضل علاقاته المباشرة بعدد من الشخصيات من داخل القصر وخارجه ومن هنا جاء كتابه حافلا بالأحداث والوقائع التاريخية التي يتعذر العثور عليها في مصدر أخر، ولقد أفادنا الكتاب في التعرف على الأوضاع الاجتماعية والسياسية بعد الحملة العسكرية الفرنسية وخاصة في مجال الممارسات الطبية التي ذكر بأنها شبه منعدمة.
- كتاب "الإباضية في موكب التاريخ" لعلي يحي معمر، تضمن دراسة شاملة ومستفيضة عن طائفة من طوائف الاسلام ألا وهي الإباضية، ولقد انشد هذا الكتاب الحقيقة بكل حرية حيث صحح الكثير من التصورات الخاطئة وصوب أخطاء فادحة وأبان حقائق تاريخية ناصعة، أفادنا هذا الكتاب في تحديد اصول سكان وادي مزاب.

اضافة إلى هذا اعتمدنا على مجموعة من المراجع من بينها:

- أهم هذه المرجع النسخة المترجمة من كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من طرف السيد مُحَّد بن عبد الكريم وأزغله للمستشرقة الفرنسية إيفون تيران التي جمعت فيه معلوماتها عن طريق الأرشيف الفرنسي الذي يعد من أهم وثائق التي اعتمدت عليها لتأريخ تلك الفترة الزمنية في الجزائر و الكشف العديد من جوانب سياسة الفرنسية و تحليلها .
- كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي الذي يحتوي على ثلاثة أجزاء، وقمنا بالاعتماد على الجزء الأول الذي احتوى على تعريف مفصل عن الإستشراق ومظاهره، كما اعتمدنا على الجزء الثالث في تعريف المستشرقة ايميلي ماري جوا شون و بعض المستشرقين القدماء لتأريخ مراحل الإستشراق .

- "الاستشراق الفرنسي والأدب العربي" لأحمد درويش، تضمن الكتاب دراسة كاملة عن كل ما يخص الاستشراق بصفة عامة والاستشراق الفرنسي، إذا ساعدنا في تتبع الجذور التاريخية لقضية الإستشراق عامة والاستشراق الفرنسي وخصائصه وتكمن أهمية الكتاب في اعتماد مؤلفه على وثائق ومعلومات جديدة تخص الإستشراق الفرنسي.
- اعتمدنا على كتاب أبو قاسم سعد الله في كتابه" تاريخ الجزائر الثقافي" بأجزائه، الجزء الأول الذي تناول كل ما يخص الحياة الفكرية والأدبية والثقافية في العهد العثماني والجزء الثالث تضمن السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر خلال فترة الاحتلال، إضافة الى الجزء السادس الذي افادنا في جزئية المراحل التاريخية للاستشراق الفرنسي في الجزائر، كما اعتمدنا على الجزء الرابع من سلسلة أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الذي يضم مجموعة من الأبحاث والمقالات حول تاريخ الجزائر ،وقد أفادنا هذا الكتاب في دراسة المستشرقين الفرنسين ودورهم في تعليم اللغة العربية للفرنسيين .
- كتاب "الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه (خاصة في الجزائر)" الذي تناول فيه الطيب إبراهيم قضية قديمة جديدة في الوقت نفسه...قديمة لأن الإستشراق بدأ منذ قرون عدة وحديثة لكن أثاره ومهامه لاتزال بادية للعيان ويأتي على رأسها التنصير، الاستعمار والغزو الثقافي ولقد أفادنا الكتاب في تحديد مجالات الإستشراق الفرنسي واهتماماته في الجزائر.
- "كتاب معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر (1830-1962)" للمؤلف قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج الذي تطرق الى أصول سكان وادي مزاب بالتفصيل ناهيك عن دور الحركة الاصلاحية الدينية التي قادها الشيوخ الإباضين لمحاربة البدع والاعتقادات الخرافية السائدة في المجتمع مزابي خلال الفترة المذكورة.
- يوسف بن بكير الحاج سعيد في كتاب "تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية" الذي تضمن دراسة شاملة عن المجتمع مزابي من جميع نواحيه وهو ما ساعدنا كثيرا في تأكيد وتوضيح المعلومات التي وردت في كتاب الحياة النسوية.

إضافة الى المصادر والمراجع باللغة العربية اعتمدنا كذلك على المصادر والمراجع الأجنبية أهمها:

- "Les kanouns du mzab" للمؤلف (Marcel Morand) ، الذي تضمن مختلف القوانين والتشريعات الخاصة بالمجتمع لمزابي.

اعتمدنا على مجموعة من مقالات نذكر من بينها:

- مقال لحنيفي هلاليي الذي نشر في مجلة الحوار المتوسطي بعنوان "المترجمون في الجيش الفرنسي آليات وركائز الإدارة الاستعمارية في الجزائر (1830-1962)"، تطرق فيه الى دور المترجمين العسكريين في الحركة الاستشراقية الفرنسية بالجزائر.
- جغلولي يوسف في مجله الحقائق للدراسة النفسية والاجتماعية، بعنوان "الإستشراق في الجزائر بين الاطروحات والوسائل" تطرق فيه الى الإستشراق الفرنسي في الجزائر ومراحله التاريخية.
- رشيد بن قسمية في مجله اشكاليات في اللغة والآداب، بعنوان" المدرسة الاستشراقية الفرنسية وجهودها في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمتها ابان فتره الاحتلال الفرنسي للجزائر" (1830-1962) الذي تطرق الى مجالات اهتمامات المستشرقين الفرنسيين في الجزائر خاصة فيما يخص جمع المخطوطات وتحقيقها.
- سعيد بوخاوش في مجلة اللغة العربية وآدابها المعنون ب "من مظاهر السياسة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية في الجزائر ابان الاحتلال الفرنسي" الذي افادنا في تحديد مجالات اهتمام المستشرقين الفرنسين في الجزائر خاصة فيما يتعلق بجانب الثقافي وتعلم اللغة العربية.
- دليله خبزي الذي نشر في مجله البحوث العلمية والدراسات الإسلامية سنه 2014 م وعنوانه "حلقه العزابة ودورها في بناء المجتمع مسجدي مجلس تمسريدين نموذجا"، أفادنا في التعريف بهيئة التيمسريدين التي تعتبر منظمه دينية وسياسية تهتم بتولي جميع شؤون المرأة في وادي مزاب.

ولقد قمنا بتقسيم بحثنا الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق وقائمة موضوعات.

جاء الفصل الأول كفصل تمهيدي بعنوانه" الاستشراق الفرنسي في الجزائر"، تضمن ثلاثة مباحث المبحث الاول كان بعنوان "الاستشراق النشأة والمفهوم" تطرقنا فيه الى تعريف الاستشراق لغة واصطلاحا ثم عالجنا نشأة الإستشراق والمراحل التاريخية التي مر بها واهم العوامل التي دفعت الى نشأته، اما في المبحث الثاني فكان بعنوان "المدرسة الاستشراقية الفرنسية " فقد تطرقنا فيه الى بداية ظهور المدرسة الاستشراقية

الفرنسية ومظاهرها واهم الخصائص التي ميزتها عن غيرها من المدارس، اما في المبحث الثالث وعنوانه "السياق التاريخي للاستشراق الفرنسي في الجزائر" فتطرقنا فيه إلى بداية الاستشراق الفرنسي في الجزائر مرورا بمراحله الثلاث واهم ما ميزت هاته المراحل واخيرا مجالات اهتمامه في الجزائر.

وقد ورد في الفصل الثاني بعنوان" قراءه في كتاب المواجهات الثقافية لجزائر المستعمرة" ايفون تيران، تضمن ثلاث مباحث: جاء المبحث الاول بعنوان" نبذه تعريفيه عن المستشرقة ايفون تيران" عالجنا فيه بداية نشأتها ومولدها ثم انتقلنا للحديث عن انتاجها العلمي واهم انجازاتها ثم جاء المبحث الثاني تحت عنوان" الدراسة الشكلية للكتاب" قمنا فيه بتقديم الكتاب من حيث الشكل وعدد الصفحات ثم تطرقنا الى دراسة اهم المصادر التي اعتمدتها المؤلفة لكتابة هذا المؤلف اما المبحث الثالث فكان بعنوان "الكتاب برؤيه نقدية" قمنا فيه باستخراج الافكار والمحاور الأساسية ثم محاوله تأكيدها من خلال الاعتماد على مصادر ومراجع اخرى ثم انهينا هذا المبحث بتقييم الكتاب من حيث منهجه وطريقة طرح افكار و ما مدى موضوعية المستشرقتين .

وقد ورد في الفصل الثالث "قراءه في كتاب الحياه النسوية في مزاب 1927" للمؤلفة اميلي ماري جواشون تضمن ثلاثة مباحث: المبحث الاول بعنوان" نبذه تاريخيه عن المستشرق اميلي ماري جواشون" تطرقنا فيه الى نشأتها واهم منجزاتها ثم جاء المبحث الثاني بعنوان" دراسة شكليه للكتاب" تحدثنا فيه عن الكتاب واهم ما تضمنه من فصول ومصادر اما المبحث الثالث فكان بعنوان "كتاب الحياة النسوية في مزاب برؤية نقدية" تطرقنا فيه الى اهم المحاور والافكار التي وردت فيه مع محاولة شرحها من خلال اعتماد مصادر أخرى ثم انهينا المبحث بتقييم شامل للكتاب من حيث منهج المؤلفة ومدى موضعيتها، وختمنا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع ،

ويبقى جهدنا هذا ومحاولتنا في القاء الضوء على الإستشراق النسوي ما مدى مساهمته في تدوين تاريخ الجزائر في الأخير هذا الموضوع واسع يحتاج وإلى مزيد من الجهد الوقت للإحاطة بجوانبه المتفرعة والمتنوعة و الغنية في نفس الوقت.

الفصل التمهيدي:

الإستشرق الفرنسي في الجزائر.

المبحث الأول: الإستشراق النشأة والمفهوم.

المبحث الثاني: المدرسة الإستشراقية الفرنسية.

المبحث الثالث: السياق التاريخي للإستشرق الفرنسي في الجزائر

كانت الصلات بين المشرق العربي والغرب الأوروبي تتخذ أشكالا شتى بحسب الظروف السائدة في كلا الطرفين عبر الفترات أتاريخية المختلفة واهم ما يمكن ذكره من أشكال هذه الصلات، الشكل الصدامي الحربي، الشكل التجاري و الشكل السياسي، الشكل العلمي الثقافي وغيرها، وكل هذه الأشكال تدخل تحت ما يسمى ب حركة الإستشراق التي ظهرت في معظم الدول الأوروبية من بينها فرنسا التي كان إقبالها على العالم الإسلامي استجابة لظروف الاحتكاك بينها وبين منطقة الشرق خلال فترة طويلة من الزمن ظهر فيها التقارب والاهتمام بهذه الحضارة، فقد كان نصيب الفرنسيين من هذا الإستشراق الحظ الأوفر بحكم الروابط التي شيدتها وخاصة بعد توسعها الاستعماري واحتلالها العديد من البلدان العربية كالجزائر.

المبحث الأول: المفهوم و النشأة الإستشراق .

يحتاج الإستشراق إلى تعريف دقيق وشامل يكون ضمن ضوابط مفهومة، لأن هذا المصطلح أصوله العامية ليست عربية فهو مجرد تعريب لمصطلح (orientalisme) ولذلك حتى ولو ترجمنا المصطلح إلى اللغة العربية فإن مفهومه يظل مستعصيا على الضبط لأنه ظاهرة حضارية غربية ذات مفهوم غربي ونحن سنحاول تحديد مفهومه ونشأته ودوافعه عن طريق الأسس التي اعتمد عليها الدارسون.

1-مفهوم الإستشراق:

ظهرت العديد من الآراء والدراسات لدى الباحثين حول مفهوم الإستشراق، وكل باحث أبدى رأيه وموقفه، من أهمها نذكر ما يلي:

أ-الإستشراق لغة: ظهرت كلمة (orient) في الإنجليزية أواخر العصور الوسطى بعد استعارتها من اللغة الفرنسية القديمة مشتقة من (oruri) وتعني "الشروق أو الشرق"، أما كلمة "orientalisme" فقد ظهر في الإنجليزية سنة 1969م وتعني أي شيء له صلة "بآسيا والأسيويين"[1] ويمكننا ملاحظة إن مصطلح الإستشراق لم يذكر في مصنفات معاجم العرب القدامى مثل لسان العرب أو تاج العروس لزبيدي[2] لذلك يمكن القول إن كلمة الإستشراق من مادة" ش-ر-ق" أي "شرقت الشمس، شروقا"[3]

1-مبروك الشيباني المنصور، صناعة الأخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الإستشراق إلى إسلام وفوبيا، د: مركز، (ط1)، بيروت،2014، ص: 45.

2-إبراهيم بن عمارة، الإستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية لأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، أطروحة للحصول على شهادة الدكتوراه "ل. م. د" في العلوم السياسية، جامعة وهران كلية الحقوق والعلوم السياسية، السنة 2018-2019، ص :04.

3- ابن المنظور، لسان العرب، ج4، الكتب العلمية، بيروت، (ط2)، 2013، ص:64.

والشروق خلاف الغروب[1].

الإستشراق مصدر الفعل السداسي: "استشراق"، و أصله كما ذكرنا "ش-ر-ق" والألف والسين والتاء إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت[2] في إيجاد معاني مختلفة مثل "الطلب" ك أستغفر الله – أي: طلب المغفرة[3] .

ب-الإستشراق اصطلاحا: يختلف مفهوم الإستشراق الاصطلاحي من مرحلة إلى أخرى لأن الإستشراق اليوم ليس هو نفسه استشراق الأمس[4] من هنا يمكن إبراز أهم الاتجاهات التي انتهجها الباحثون:

ورد في موسعة "لا رس" تعريف الإستشراق على انه "العالم المتطلع في معرفة الشرق وثقافته وآدابه"[5].

وعرفه الفرنسي إميل ليتري (Emile Littré) سنة 1786م بأنه: "هو أي شيء له صلة ب أسيا والأسيويين"، وقد ورد ذكره في معجم متن اللغة "استشراق: طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم يقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة"[6]، ويرى ادوارد سعيد إن الإستشراق هو أسلوب للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه[7]، أما الدكتور شكري نجار فيعرفه على أنه:" ثمة مفهوم أعم للاستشراق هو اعتب

1- صلاح حمد حسين لأشرف، الإستشراق مفهومه وأثاره، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة، المملكة العربية السعودية، ص: 12.

2 -إسلام عبد الله الغني غانم، مناهج دراسة التراث عند المستشرقين المنهج التاريخي المنهج الوصفي المنهج الأنثروبولوجي نموذجا، مجلة الوراق الدراسات الاجتماعية والإنسانية، م4، ع1، ص:35.

3- عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ج2، دار المعارف، (ط3)، القاهرة، مصر، ص: 169.

4- محمد الفاروق النبهان، الإستشراق تعريفه مدراس أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، ايسكو، 1433هـ-2012م، ص:11.

5- محمد رضا، مراجعة الإستشراق في مجلة الفكر العربي العددين 31و32 (1973)، مجلة أفاق الحضارة الإسلامية، العدد: 06، س 2000، ص 36.

6- احمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة اللغوية الحديثة، م 03، مكتبة الحياة، بيروت، 1378هـ-1909م، ص:310.

7- تركي بن خالد الظفري، الإستشراق عندا ادوارد سعيد رؤية إسلامية، دار التأصيل، (ط2)، 2010م، ص: 84.

الإستشراق أسلوب التفكير تركز على التمييز الإنساني والمعرفي بين الشرق والغرب"[1]، ويذكر أحمد حسن الزيات أن "الإستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ولكنه في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العربية لصلاتها بالدين وصلاتها بالعالم"[2].

ج–تعريف المستشرق: أطلق هذا اللفظ على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق تاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[3]، لذلك يعرفه المستشرق الإنجليزي آرثر جون ارجون باعتماده على تعريف قاموس إكس فود الجديد بأنه:" من تبحر في لغات الشرق وآدابه"، وعرفه دتريش بأنه:" هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه"[4].

يذكر مالك بن النبي في تعريفه للمستشرق: «إننا نعني المستشرقين الكتاب الغربيين يكتبون على الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية ثم علينا أن نصنفهم طبقات على صنفين من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل القديس توماس لاكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو وجويد تسهير، ومن حيث الاتجاه العالم نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها"[5]

2–نشأة الإستشراق:

ليس الهدف من هذا العنصر حول تاريخ الإستشراق أن يكون عرضا شاملا يقف عند كل التفاصيل ويدقق في جزئياته، وإنما القصد منه إلقاء نظرة عامة تبرز لنا أهم المعالم الرئيسية وبطبعه الحال إن موضوع الإستشراق موضوع واسع لا يمكن حصره في هذه الصفحات.

1- محمد رضا، المرجع السابق، ص: 36.

2- إسماعيل محمد علي، الإستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الإستشراق، (ط3)، 2000م.ص:12

3- محمد السيد الجي لند الإستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة قباء، القاهرة، س: 1994، ص10.

4- إسلام عبد الله غني غانم، المرجع السابق، ص: 36.

5- مالك بن النبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، (ط1)، 1382هـ–1969م، ص:05.

أ–بوادر ظهور الإستشراق: كان ظهور الإستشراق عبارة عن مجهودات فردية وبشكل عفوي[1] وما لبث أن تطور ليكون حركة منظمة لها كوادرها ومؤسساتها المختلفة لذلك من الصعب تحديد تاريخ معين لبداية الإستشراق لعدم اتفاق على فترة زمنية معينة[2] لتعدد أراء العلماء والباحثين حيث يتجه أكثرهم إلى تحديد الفترة الزمنية وليس إلى تحديد السنة بعينها.

قبل التحدث عن الفترة الزمنية التي ظهر فيها الإستشراق يمكن أن نشير إلى أنه في بداية نشوئه وظهوره قد قام على أكتاف رجال الدين النصارى كان الرهبان في طليعة المستشرقين[3] ،يذكر مصطفى السباعي أنه: "لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسة الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك ولكن المؤكد أن بعض الرهبان قصدوا الاندلس[4]، في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها"[5]، لذلك فهناك اتجاه كبير من الباحثين يرى أن الإستشراق بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا وقيام الدول الإسلامية في الأندلس التي أسست الحضارة الإسلامية لم تشهدها أوروبا[6]، بالمقابل أوروبا كانت غارقة في ما يسمى بالعصور الوسطى تحت سيطرة الكنيسة وحكام البلاد فكان وصول العرب عاصفة

1– عبير احمد فاضل الثقفي، لمحة تاريخية عن حركة الاستشرافية ووسائلها، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 35، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ص :1021.

2– محمد فتح الله الزيادي، الإستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيه، (ط1)، 1998م–1426هـ، ص، ص: 23، 24.

3– إسماعيل علي محمد، الإستشراق بين الحقيقة وتضليل مدخل علمي لدراسة الإستشراق، دار الكلمة، (ط6)، 1434هـ–2014م، القاهرة، ص، ص، 15،21.

4 – الأندلس، في شهر شعبان 92هـ–711م، عبر العرب البحر لفتح الأندلس ؛ ضلت الأندلس تحت حكم المسلمين حتى القرن 13م، حيث استرد ملوك قشتالة معظمها، ولم تبقى إلا مملكة غرناطة العربية التي سقطت في يد ملوك الكاثوليك، سنة 1492م، كانت الفترة الإسلامية العربية في الأندلس تعتبر العهد الذهبي، كانت المدن الإسلامية فيها، قرطبة وإشبيلية وغرناطة مراكز مشهورة للثقافة والعلم والفن ينظر: حسن إبراهيم الحسن، تاريخ الإسلامي السياسي والدين والثقافي والاجتماعي، ج1، دار النهضة المصرية، القاهرة(ط14)، 1416هـ–1996م، ص_ص: 254–255؛ إسماعيل علي محمد المرجع السابق،(ط6)، ص: 14.

5– مصطفى السباعي، الإستشراق والمستشرقون ما لهم وعليهم، دار الوراق، ص: 17.

6– فتح الله الزياد، المرجع السابق، ص: 25.

دفعت بهم إلى الاحتكاك بالعرب أو العالم الإسلامي، وكل هذا حدث في النصف الأول من القرن الثامن ميلادي[1].

هناك بعض الباحثين يرون أن بدايات الإستشراق كان في القرن العاشر ميلادي منهم نجيب العقيقي في مؤلفه عن المستشرقون موسوعة التراث العربي يحتوي على تراجم المستشرقين والدراسات عنهم حيث وضع سجلا لحركة الإستشراق تتراوح مدته ألف سنة ونلاحظ أنه قد بدأ من القرن العاشر الميلادي ذكر في مقدمتهم "جر بردي ورالياك"[2] الذي ولد في سنة 938م وتوفي في سنة 1003م، ثم ذكر بعده "القسطنطين الإفريقي" الذي توفي سنة 1087م، ويليه "أوجودي سانتلا" ولد في سنة 1108م[3].

أما الاتجاه الأخير فيرى بأن الحروب الصليبية[4] التي كانت أولى حملاتها سنة 1092م إلى غاية سنة 1099م وامتدت هذه الحملات وصولا إلى الحملة الثامنة من سنة 1262م إلى سنة 1270م، التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا ولكنه قضى نحبه أمام تونس[5]، يمكن القول أن هذه الحملات قد لعبت دورا مركزيا في تعبئة المعتقدات العرقية فهي أساس أصل التي قامت عليها العصبية تجاه الإسلام والمسلمين وشد الانتباه والعمل على معرفة سر التفوق الإسلامي[6].

يعتبر الكثير من المؤرخين لحركة الإستشراق أن الإستشراق اللاهوتي قد بدأ بشكل رسمي حين صدر قرار

1- عبير احمد فاضل الثقفي، لمحة تاريخية عن حركة الإستشراقية ووسائلها، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع 35، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ص :1021.

2- محمد فتح الله الزيادي، الإستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيه، (ط1)، 1998م-1426هـ، ص، ص: 23، 24.

3- إسماعيل علي محمد، الإستشراق بين الحقيقة وتضليل مدخل علمي لدراسة الإستشراق، دار الكلمة، (ط6)، 1434هـ-2014م، القاهرة، ص، ص، 15-21.

4- الأندلس، في شهر شعبان 92هـ-711م، عبر العرب البحر لفتح الأندلس ؛ ضلت الأندلس تحت حكم المسلمين حتى القرن 13م، حيث استرد ملوك قشتالة معظمها، ولم تبقى إلا مملكة غرناطة العربية التي سقطت في يد ملوك الكاثوليك، سنة 1492م، كانت الفترة الإسلامية العربية في الأندلس تعتبر العهد الذهبي، كانت المدن الإسلامية فيها، قرطبة وأشبيلية وغرناطة مراكز مشهورة للثقافة والعلم والفن ينظر إلى: حسن إبراهيم الحسن، تاريخ الإسلامي السياسي والدين والثقافي والاجتماعي، ج1، دار النهضة المصرية، القاهرة(ط14)، 1416هـ-1996م، ص_ص: 254-255؛ إسماعيل علي محمد المرجع السابق،(ط6)، ص: 14.

5- مصطفى السباعي، الإستشراق والمستشرقون ما لهم وعليهم، دار الوراق، ص: 17.

6- فتح الله الزياد، المرجع السابق، ص: 25.

مجمع فينا الكنيسي سنة 1312م وذلك بانتشار عدد الكراسي للأساتذة في اللغة العربية بالعديد من الجامعات الأوروبية ويعتبر هذا المؤتمر البداية الرسمية للاستشراق[1].

ب–مراحل الإستشراق: نلاحظ أن الإستشراق قد مر بالعديد من المراحل التي تطور خلالها من حيث المفهوم والأهداف والوسائل والخصائص عبر الزمن ويمكن أن نعرض أهم هذه المراحل في النقاط التالية:

–مرحلة الإستشراق الاستكشافي:

هي مرحلة أولية انطلقت فيها أولى البدايات لنسج العلاقات بين الغرب الأوروبي وبلاد الشرق[2]، فقد انحصرت نظرة الأوروبيين لحقيقة الشرق الإسلامي بوصفه حالة بدائية ونمط نقيض لأوروبا منذ أبد الآبدين، وهذا ما تم تأكيده في كتاب تراث الإسلام[3] إلى غاية الفترة التي استطاعت فيها الحضارة العربية أن تبسط سلطانها على جزء كبير من آسيا وإفريقيا وامتدت جنوب أوروبا وأقامت دول كبيرة كالأندلس[4] حيث تفننوا في جميع الميادين يذكر نجيب العقيقي في هذا الصدد: " أقبلت الأندلس على تلك الثقافات التي تميزت بتعدد مبدعيها، انتشر فيها العلوم والفلسفة والمنطق والفلك والكيمياء والرياضيات"[5] وهكذا بدأ الغرب المسيحي بتساؤل ما أصل هذا الشعب ؟ كيف نشأت لغته وآدابه؟ لماذا انطلق من جزيرته؟ كيف تطور؟ وغيرها من الأسئلة التي أدت إلى الرغبة في استكشاف هذا العالم[6]، ومع قيام الحروب الصليبية التي خرج منها الغرب المسيحي يجر أذيال الخيبة والهزيمة[7]، أثبت أن المسلمين يتفوقون عليهم حضاريا، هذا كان كافيا لزيادة روح التعصب الديني والاهتمام الجدي بهذه الحضارة سعيا للاستفادة منها.

1– عبير احمد فاضل الثقفي، المرجع السابق، ص: 1071

2– محمد رضا، المرجع السابق، ص: 42

3– ادوارد سعيد، إعادة النظر في الإستشراق، تر: تأثر دين، ص :71.

4–جوزين شاخفت كليفود بوزوث، تراث الإسلامي، ج1، تر: محمد زهير السمهوري وآخرون، دار المعارف، 1978، ص :30.

5– محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص :08.

6– نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص _ص: 78–79.

7– أحمد سمايلوفتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار القصر الغربي، 1998، ص: 54.

أخذ الأوروبيين الغارقين في الجهل والتخلف الحضاري يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين لعلهم يظفرون بما يوقفون به هذا التيار الجديد أو يكسبون علومه[1]،وما ساعد في ذلك إنشاء العرب المدارس والجامعات ومعاهد البحث والترجمة التي كانت تضيء الطريق أمام آلاف المتعطشين للمعرفة من الأوروبيين، يذكر المؤرخ الإنجليزي جورج ميلد الصراحة في كتابه فلسفة التاريخ:" إن مدارس العرب في اسبانيا كانت هي العلوم وكان الطلاب الأوروبيين يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم ... وكذلك أصبح جنوب إيطاليا منذ أن ارتحل إليه العرب واسطة لنقل الثقافة إلى اروبا"[2].

يذكر نجيب العقيقي:"وفي طليعة هؤلاء رجال الدين فاختلفوا إلى مدارسهم وجامعاتهم ومكتباتهم ثم قبعوا في ديارهم ينقعون ذلك التراث ويترجمونه ويفسرونه ويصنفون فيه ويذيعونه بين الرهبان وطلاب العلم فينتشر انتشارا سريعا بفضل مدارسهم"[3]،بعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم أسسوا معاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادوي" الغربية وأخذت الأديرة تدرس مؤلفات العرب[4] بدخول الكتب العربية، وفي هذا الصدد نذكر القرار الذي اتخذ في مؤتمر فيآنا سنة 1331م بإنشاء دروس عربية وشرقية في عواصم أوروبا مثل باريس وإكسفود وبولون وهذه الدروس تحولت إلى كراسي شرقية بالجمعات الغربية .

من أهم الرهبان الذين ساعدوا في حركة الترجمة التي كان لها دور مهم في الإستشراق نذكر من بينهم[5] روبيرت شستري 1141م وادوارد الإسباني ويوحنا الإشبيلي وهرمان الدرماطي ...وغيرهم، ولم يقف هؤلاء الرجال عند الترجمة بل قاموا بتصنيفها، مثل ما فعل أرجنان أرسطو بشرح: الكندي، الفارابي، ابن سينا والغزالي ...إلخ[6] بالإضافة إلى ترجمة القرآن[7].

1- إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، (ط6)، ص:22.

2- محمد فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص _ص :27-25

3- أحمد سمايلوفتش، المرجع السابق، ص _ص:68-69.

4- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص: 97.

5- مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص: 18.

6- محمد فتح الله الزياد، المرجع السابق، ص_ص:26-28.

7- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص:99.

تميزت هذه الفترة الزمنية بالنشاط اللاهوتي النصارى ضد الإسلام فراحوا ينشرون الافتراءات على الدين الإسلامي وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، وزعت الأساطير شعبية والخرفات واتساع خيال كتاب اللاتينيين على سبيل مثال: أنشودة رولاند (the Song of Roland) ، وغيرها من الآثار الأدبية التي تصنف بأن المسلمين يعبدون الأصنام. أو أنهم يعبدون الآلهة ثلاثة " كير فاجأن ومحمد صلى الله عليه وسلم وأبلو"، لهذا لم يكن من السهل في ذلك الزمن فصل الإستشراق عن الجانب الديني بصفة عامة[1].

مرحلة الإستشراق الاستعماري:

عرفت هذه مرحلة باسم الإستشراق الاستعماري (colonial Orientalisme) [2] هي الفترة التي تعاقبت على الدول الإسلامية حكومات متعددة وظروف مختلفة أدت إلى تخلفها وبروز ضعفها مع مرور الوقت[3] في الوقت الذي استطاعت فيه أوروبا أنتطور من حضارتها [4] حيث عرفت تقدما في العديد من المجالات مع بروز النزعة الإنسانية خلال القرن السادس العشر ميلادي وما بعده مما أدت إلى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل من ناحية ومن ناحية ثانية أصبح من السهل طباعة الكتب العربية في أوروبا عن طريق إقامة مطابع فقد كانت خطوة كبيرة لتطوير حركة الإستشراق[5] ففي سنة 1514م ظهرت في إيطاليا الطباعة بالحروف العربية لأول مرة عن طريق مطبعة "فانو" في الساحل الأدرياتيكي و احتفل البابا ليون العاشر لنشرها أول كتاب بالحروف العربية وهو " صلاة واسعي " ونذكر كذألك مطبعة "مدي تشيا" أسسها في فلورنسا الكاردينال فردينا ندوي مدي تشى سنة 1584م التي انتشرت فيها العربية إضافة إلى المطبعة" الشرقية الغربية" التي أسسها يعقوب قمر في روما سنة 1595 م[6] .

في القرن السابع عشر الميلادي لم يكن اهتمام الأوروبيين بالمشرق من ناحية الإبداع الأدبي فقط نرى اهتمامهم بالمسرح ك كورناي وراسين والى حد ما شكسبير قبلهم، من ناحية ثانية كان لظهور الدول المركزية

1- محمود حمزي زقزوقة، الإستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضاري، دار القاهرة، (ط2)، 1409هـ _1989م، ص، ص :29، 31.

2- نجاة سليم محساس، مفاتيح علم التاريخ، دار زهران، ص :77.

3- عفاف صبرة، المستشرقون والمشكلات الحضارة النهضة العربية، 1985م، ص: 14.

4- مبروك الشيباني المنصور، المرجع السابق، ص: 68.

5- محمود حمزي زقزوقة، المرجع السابق، ص؛ ص: 38؛36.

6- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج3، (ط4)، دار المعارف، القاهرة، ص_ ص: 357_ 358.

القوية في أوروبا حاجيات لزيادة النمو الاقتصادي الذي ارتبط من جانب أخر بالتهديد الإسلامي المتمثل في الإمبراطورية العثمانية على وجه التحديد[1] لذلك كان لابد من التقارب والتكثيف من الاتصالات السياسية وتقوية العلاقات الاقتصادية فكان للمستشرق دور هام في جمع الدراسات التي كان يحتاجها رجال السياسة[2] لتغلغل داخل الدولة العثمانية لدرجة استعانتها بخبراء أجانب في تسير معظم شؤونها الداخلية.[3]

بدأ الغرب الأوروبي خلال القرن الثامن عشر الميلادي في استغلال العالم، الإسلامي وذلك بالاستلاء على أراضيهم و نهب الكنوز و المخطوطات و الكتب و كل ماله قيمة مادية و معنوية[4]، وقد شهد الإستشراق في القرن الثامن عشر و التاسع عشر الميلاد تطورات خطيرة في مسيرته بعد تحوله من أحضان الكنيسة إلى الاستعمار الذي رعى جهود المستشرقين لحاجته الماسة إليه من أجل تثبيت دعائمه بتأسيس مؤسسات غربية تستهدف العرب، مثل المؤتمرات التي عقدت ابتداء من سنة 1783م من بينها مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقدة سنة 1894م، كما شهدت هذه المرحلة الدعم المادي لحركة الإستشراق من قبل الاستعمار و الارتباط الوثيق بين الوزارات الخارجية و المستعمرات و المستشرقين[5].

مرحلة ما بعد الاستعمار:

هي مرحلة عرفت في اللغة الأجنبية (post colonial orientalisme) [6]، كان فيها الإستشراق بالأخص طيلة العقود الثلاثة حتى الأربعة أولى في القرن العشرين متأثر بالمركزية الأوروبية المبنية على اعتقاد بمحورية نموذج الحضارة الأوروبية[7]، ولكن الحرب العالمية الأولى والثانية أضعفتا ثقة الإنسان الغربي بتفوقه الحضاري والعقلي فلحق انشقاق مما أدى إلى تناقص أنظمة الاجتماعية ولاقتصادية حتى العسكرية وكذلك متأثر بحركات التحرر الوطني في البلدان المستعمرة ونجاحها ضد المد الاستعماري بالإضافة

1- بن سالم حميش، العرب والإسلام في مرايا الإستشراق، دار شروق، (ط1)، 2011، ص: 30.

2- جوزيف شاخفت، كليفود بوزوث، المرجع السابق، ص: 50.

3- أحمد سمالوفيتش، المرجع السابق، ص: 89.

4- صالح مد حسن الأشرف، المرجع السابق، ص: 89.

5- محمد فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص: 88.

6- نجاة سليم محساس، المرجع السابق، ص: 77.

7- بن سالم حميش، المرجع السابق، ص: 41.

إلى تطور العلوم الإنسانية وعلم الاجتماع وعلم النفس والديمغرافيا واللسانيات فهذا التطور الذي ألغى هيمنة المناهج الإستشراقية التقليدية فتح أعين الباحثين عن إشكاليات وقضايا جديدة[1]، أما المستشرقون المعاصرون فأصبحت اهتماماتهم تقتصر على طرف واحد من الدراسة، يتخصصون بأديب أو شاعر معين[2] بعد أن انخفض الجهد الإستشراقي المبذول ولم يعد يظهر في هذه المرحلة ذالك النوع من جيل المستشرقين القدماء، إضافة إلى تغير شكل الكتابات الإستشراقية فالهجوم السافر على الإسلام واحتقار العروبة وغيرها من السلبيات لم تعد ظاهرة كما كانت من قبل[3].

3-دوافع ووسائل الإستشراق:

أ-الدوافع: كان لظهور الإستشراق منذ نشأته دوافع حضارية تمثلت في بناء صرح الحضارة الغربية على حساب حضارة الشرق وتصدعها[4] إضافة إلى دوافع أخرى متمثلة في تشويه صورة الإسلام وتحريف حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية [5]من جهة أخرى تنفير المسلمين عن دينهم وحملهم على كراهيته واستدراجهم الأخذ بتعاليم النصرانية[6].

- ❖ التعرف على نفسية المسؤولين واكتشاف نواحي الضعف في سياستهم وذلك من خلال إنشاء سفارات يشرف على كل سفارة سكرتير ثقافي يتقن اللغة العربية حتى يتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة[7].
- ❖ التعرف على مكامن القوة ونقاط الضعف لبلدان الشرق بهدف استعمارها وذلك من خلال الاعتماد على طبقة عميلة من أبناء البلاد.[8]

1- ن سالم حميش، المرجع السابق، ص :42.

2- سلمي حسن العلوان المسوى، المرجع السابق، ص: 203.

3- فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص :30.

4- محمد قدور تاج، الإستشراق ماهيته وفلسفته ومناهجه، (ط3)، المجتمع العربي، عمان، 2014، ص: 34.

5- مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص: 21.

6- إسماعيل عبد الفتاح مصطفى، الإستشراق بين النشأة والأهداف، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، (د ط)، جامعة الأزهر الشريف، مصر، ص _ ص:1163_ 1164.

7- مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص _ ص: 23-24.

8- إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص _ ص: 61-62.

❖ الغوص في علوم الإسلام وبواطن الحضارة الشرقية من اجل الاستفادة منها لبناء الغرب[1].

❖ رغبة الدول الأوروبية في تنشيط تجارتها مع دول الشرق الإسلامي وتسويق منتجاتها[2]، بالإضافة إلى استغلال مواردها وذلك من خلال شرائها بأرخص الأثمان وإعادة بيعها بأثمان باهظة[3].

كان هذا استعراض لأهم الدوافع التي كانت وراء ظهور الحركة الإستشراقية يضاف إليها بعض الدوافع الأخرى الشخصية: فمنهم من دخل ميدان الإستشراق تخلصا من مسؤولياته المباشرة في مجتمعه المسيحي[4] وهناك من دفعتهم الرغبات الإنسانية الطبيعية في المعرفة والاستكشاف للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم ومعرفة الناس وأسرارهم وهناك من دفعتهم الخلفية التاريخية للتعرف على العلاقة بين الشرق والغرب تلك العلاقة التي مرت بأطوار متعددة من اللقاء إلى الخلاف والصراع [5] لكن على العموم تبقى هذه الدوافع غير رئيسية نظرا لقلة أصحابها الذين لم يبرز عنهم تيار معين.

ب–وسائل الإستشراق: لقد حدد الإستشراق منذ نشأته دوافعه التي وإن اختلفت من حيث الشكل إلا أنها تتفق جوهرا ومن أجل تحقيق هذه الدوافع اتخذ المشرقون جملة من الوسائط متمثلة في:

❖ تأليف الكتب وإصدار المجلات والدوريات حيث أصدر المشرقون ما يزيد عن ثلاثمائة مجلة مفتوحة من أبرزها المجلة الأسيوية ومجلة العالم الإسلامي ومجلة جمعية الدراسات[6].

❖ تأليف المعاجم وكان أول قاموس أنجز هو قاموس لاتيني عربي في القرن الثاني عشر ميلادي كما ألف المستشرقون موسوعة دائرة المعارف سنة 1913–1938م[7] الناطقة بعدة لغات وتم حشدها اشد أعداء الإسلام

❖ عقد المؤتمرات العالمية حيث تم عقد حوالي ثلاثين مؤتمر دولي من سنة 1873م إلى غاية 1936م

1– علي إبراهيم النملة، كنه الإستشراق المفهوم الأهداف الارتباطات، دار بيسان، (ط3)، لبنان، 2011، ص _ ص: 68–69

2– إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص: 83

3– مصطفي السباعي، المرجع السابق، ص: 23.

4– إسماعيل عبد الفتاح، المرجع السابق، ص:1174

5– إبراهيم النملة، المرجع السابق، ص: 75.

6– إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص: 94.

7– محمد قدور تاج، المرجع السابق، ص: 44.

بالإضافة إلى بعض المؤتمرات الإقليمية مثل مؤتمر المستشرقين السوفييت بلغراد (1937-1938) وحلقة المستشرقين في بروكسل[1].

- ❖ إلقاء المحاضرات في الجمعيات العلمية والجامعات العربية الإسلامية كمصر ودمشق وبغداد يعتبرون الاشتراك في هذه المجامع وسيلة في تحقيق أهدافهم حيث يعملون جاهدين على تحويل هذه الأهداف إلى مناهج براقة تتدثر بعباءة البحث العلمي سواء في الدعوة إلى إحياء العاميات أو الدعوة إلى تعديل النحو العربي أو ما يسمى اللغة الوسطى وكل هذا يرمي إلى إحداث فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة[2].
- ❖ إرسال بعثات تبشيرية للعالم الإسلامي لخدمة التنصير باطنيا أما ظاهريا فقد تمثلت عملها في القيام بالأعمال الإنسانية كإنشاء المدارس والمستشفيات[3].

إضافة إلى هذه الوسائل فهناك أساليب أخر قد اعتمدتها الدول الغربية من أجل تحقيق مشروعها الإستشراق من بينها إنشاء الشركات كشركة الهند الشرقية إضافتا إلى عدة جمعيات منها الجمعية الأسيوية بفرنسا وجمعية المستشرقين الألمان[4].

المبحث الثاني: مدرسة الإستشراق الفرنسي.

تعد المدرسة الإستشراقية الفرنسية من أهم المدارس الأوروبية التي قامت بجهود جبارة حول الدراسات الشرقية خاصة بعد تطورها مع مرور الزمن وإنشائها مؤسسات متخصصة وهي تمثل أوروبا بجوهر حضارتها.

1-مراحل تطور المدرسة الإستشراقية الفرنسي

لقد كان الإستشراق الفرنسي نتيجة العلاقات التي نشأت بين فرنسا والعالم الإسلامي منذ فتح

1- إسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص: 110.

2- سعد آل حميد، أهداف الإستشراق ووسائله، جامعة آل سعود، ص: 14

3- مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص: 34

4- المحسن بن علي بن صالح سويس، مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها تكوينها وأهدافها، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة، جامعة محمد بن سعود، السعودية، ص_ص:21_22.

المسلمين مقاطعات فرنسية ثم استمرت وتطورت عبر الزمن، بدأت بوادر ظهور حركة الإستشراق الفرنسي بشكل فردي وتدرجي من طرف أفراد أوروبيين وهم الرهبان والمغامرون استهوتهم الدراسات الشرقية، لم يكن الإستشراق الفرنسي في مرحلة الأولى منظما و رسميا،[1] تمدد هذه المرحلة من بداية القرن الثامن عشر ميلادي الذي شهد فيه العرب دخول الأندلس إلى نهاية القرن الحادي عشر ميلادي، وهنا لا نجد أي اهتمام جدي من الغرب الأوروبي عموما من ناحية الفكرية لشرق.

المرحلة الثانية فهي تشمل القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الميلادي كان فيها الفرنسيون يستفيدون من التراث العلمي العربي،[2] حيث تسارعت خطى الإستشراق الفرنسي بعد سقوط مدينة طليطلة سنة 1085م و مسارعة العلماء و رجال الدين لدراسة كنوزها ومخطوطاتها وترجمة جانب كبير منها[3]، و بعض المؤرخين روجوا أن البداية الفعلية للإستشراق الفرنسي كان في هذه الفترة الزمنية بظهور أول ترجمة لاتينية للقرآن سنة 1143م،[4] دون أن ننسى الدور البارز الذي لعبته فرنسا في الحملات الصليبية والتي كانت من نتائجها ازدياد التقارب بين الشرق والغرب وتوسيع حركة الاستشراق[5] بإيجاد منافذ جديدة تمكنهم من نقل المخطوطات العربية بالتالي ازدياد في حركة الترجمة، أحصى ليك ليرك منذ القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي ثلاثمائة مترجم[6] وكان الملك سان لوى أو لويس التاسع أول ملوك فرنسا الشارعين بتأسيس خزائن الكتبحيث أنشأ بها أقدم مدرسة للدراسات العربية خلال القرن الثاني عشر الميلادي في"دايمس" بأمر من البابا سلفستر وأنشأ البابا هورنوريوس معهدا للغات الشرقية سنة 1225م[7].

1- مارية جوهرة، الاستشراق الفرنسي والإرث الثقافي الكلونيالي، مجلة الدراسات الإستشراقية، ع 21، 2020م_ 1441هـ، ص _ ص: 104 _ 105.

2 – محمود مقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، دار علم المعرفة، نوفمبر1999م، ص: 48

3 – جواد كاظم نصر الله، شهيد كريم الكعبي، الإستشراق الفرنسي والبعثات اليسوعية لقاء الإستشراق والتبشير، مجلة الدراسات الإستشراقية، ع4، 2010، ص: 97.

4 – إسماعيل محمد علي، المرجع السابق، (ط6)، ص: 16.

5 – جواد كاظم نصر الله، شهيد كريم الكعبي، المرجع السابق، ص_ ص: 97_98

6- أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار الغريب، القاهرة،2004، ص: 21.

7- محمد سيد الجليد، الإستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء، القاهرة، 1999، ص: 26.

لقد كان الإستشراق الفرنسي منذ القرن السادس عشر الميلادي في تطور ومع بروز النهضة الأوروبية تحول من عصر الصراع بين الشرق والغرب إلى عصر الاستطلاع ودراسات الشرق، وما ساعد هذه الحركة ظهور الطباعة و ازدهار الجامعات الكبرى، حيث خصصت لهذه الدراسات كراسيها في كوليج دي فرانس سنة 1539م التي أسندت للمستشرق جيوم بوستل ومن ثم خلفه تلميذه يوف سكاليجر سنة (1540م _ 1609م)[1].

كانت جامعة باريس في هذه الفترة الزمنية تحتكر التعليم تسيطر عليها العقلية الجامدة وترفض كل تجديد أو تطور كما أنها كانت تتخذ من اللغة اللاتينية اللغة الوحيدة للتدريس والكلام، ومع الانتشار التدريجي لروح النهضة ازدادت حاجه الناس للتعرف إلى روائع الآداب القديمة بلغات مختلفة عن طريق الترجمة لذلك أنشأ الملك فرانسوا الأول [2] مؤسسة القراء الملكيين سنه 1530م، أعطت هذه المؤسسة الفرنسية إلهاما للعديد من المستشرقين الذين قدموا لنا أعمال مهمة نذكر على سبيل المثال المستشرق بوستل [3] الذي ترك آثارا عديدة من بينها كتاب" النحو العربي" الذي نشر في باريس سنة 1538م و كتابا بعنوان: (Characteribus deffeientiun Alphabetum Duodécimo Lingurarun)[4] جمع فيه الحروف الهجائية للغات كثيرة منها العربية ، مع تشجيعه إلى تيعلم اللغة العربية[5].

أنتجت باريس في الفترة السابقة التي تحدتنا عنها اغني الدراسات الإستشراقية التي لا يمكن العثور عليها في عاصمة من عواصم أوروبا وذلك لأن الحكومة الفرنسية مقارنة بغيرها هي الأكثر تشجعا لآدب

1- سلمى حسن علوان، المرجع السابق، ص:198.

2- فرانسوا الأول: عاش من سنه 1494م إلى 1547م وهو أحد ملوك فرنسا حكم فرنسا من سنه 1515م إلى سنة 1547م سعى للفوز بتاج الإمبراطورية والهيمنة على كامل أوروبا، يعد فرنسوا الأول من أكبر رجال عصره... انظر: زيتوني حمزة إسحاق، استنجاد الملك الفرنسي فرنسوا الأول بالجزائر الغزو الاسباني لمملكته والجزائر 1543م، مجله البدر، م 11، ع 10، 2018، ص: 1225.

3- جوليان بوستل: مستشرق فرنسي ولد سنه 1510م كان يتقن اللغات الشرقية والغربية، جمع عدد من المخطوطات الشرقية وتوفي سنه1581م... انظر: عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص_ ص: 135_138.

4- محمود مقداد، المرجع السابق، ص؛ ص:78؛80؛82.

5- محمد بن عبد الله العامر، المدرسة الإستشراقية الفرنسية، المجلة العلمية لكلية العلوم والأدب لمحافظه ألراس جامعه المملكة العربية السعودية، م 33، ع 43، يونيو 2021، ص: 325.

الشرق لكن في القرن السابع عشر والثامن عشر ميلادي لم يكن هذا السبب الوحيد[1] فقد كان لظهور الدول المركزية القوية في أوروبا وحاجات نموها الإقتصادي المرتبط من جهة أخرى بالتهديد الإسلامي متمثل في الإمبراطورية العثمانية على وجه التحديد، نتيجة لهذا الخطر اهتمت فرنسا بتعليم أبنائها اللغة التركية لغة الدولة بهدف تخريج مترجمين [2] يقنون بدور الوسيط بين الدولة العثمانية و فرنسا و تسهيل عملية التواصل ونيل امتيازات واسعة وتكثيف إرساليات والبعثات الدبلوماسية والعلمية ، منذ ذلك الوقت ارتبطت مصالحها بهذا الجزء من الشرق.

في نهاية القرن السابع عشر ميلادي نرى أن الإستشراق الفرنسي قد انتقل نقلة نوعية من حيث الأدب والمسرح والفن الشكلي والموسيقى والفلسفة والشعر والتراجيديا والكوميديا على سبيل المثل عرض مسرحيات بطابع التركي منها مسرحية "بايزيد" و"روكسانا" وهي تعتبر ثمرة الإستشراق الفرنسي في القرن السابع عشر الميلاد [3]، إضافة إلى قصص ألف ليلة وليلة التي جمعها أنطوان جلان ظهرت طبعتها الأولى بإثنين عشر جزءا ما بين سنة 1704 وسنة 1707م حققت نجاحا كبيرا استمرت فيه القصص الشرقية في سنة 1732م "ألف جانيي" أول كتاب عن حياة "محمد صلى الله عليه وسلم "تقيد فيه بالمصادر العربية دون تعليق أو دراسة، شرح" الماروني يوسف الأشقر" في وضع وصف لمخطوطات المجتلبة حديثا والمخطوطات

العربية السريانية السابقة وذلك في سنة 1735م[4]، تم نشر الفهرس للمخططات الشرقية سنة 1739م شمل فيها عمل كل من "دربلو والقيس رينود "معا، وضع "دوسافاري" سنة 1784 كتابا في النحو العربي بعنوان "قواعد اللغة العربية العامية والفصحى "وتم نشر في باريس سنة 1813م[5].

1- محمد عربي معريش، الإستشراق الفرنسي والمغرب والمشرق من خلال المجلة الاسيوية 1822 1872، دار الغرب الإسلامي، تونس (ط11)، ص: 151

2- سلمى حسن العلوان المسوي، المرجع السابق، ص: 198.

3- زينات بيطار، الإستشراق في الفن الرومنسي الفرنسي، دار علم المعرفة، 1998، ص_ ص: 36_37.

4- خليل الهنداوي، رحلة الكتاب العربي في الإستشراق الفرنسي، مجلة المعرفة، ع 130، 1972م، ص-ص: 104-105.

5- محمود مقداد، المرجع السابق، ص-ص: 662-120

يعد القرن الثامن عشر الميلادي مرحلة التنظيم الفعلي الإستشراق الفرنسي لجهود المستشرقين في الدراسات الشرقية في الوقت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي و الاستيلاء على ممتلكاته أبسط مثال على ذلك بالاستلاء على المخطوطات و الوثائق الهامة و الانتقال بها إلى مكتبات و المتاحف الغربية، مثلما حصلت عليه فرنسا أثناء حملة نابليون[1] على مصر سنة 1789م، هذا ما ساهم في تطوير دراسة العلوم المصرية و تطوير دراسة اللغة "الهيروغرافية" للاستفادة منها حيث رافق نابليون مجموعة من المصورين و النحاتين و المهندسين[2] الذين استطاعوا خلال إقامتهم في مصر أن يصور معالمها الأثرية الطبوغرافية و الفنية الطبيعة حيث أخرجت هذه الحملة كتابا ضخما يقع في ثلاثة وعشرون مجلد[3] سماه "وصف مصر"[4] اعتبر مرجعا للدراسات المصرية و الشرق الإسلامي طوال القرن التاسع عشر الميلادي[5].

في القرن التاسع عشر الميلادي في ظلال مدرسة اللغات الشرقية التي ترأسها المستشرق البارون دي ساسي[6] ظل خلال ثلاثون عاما الموجة الأكثر للدراسات الشرقية في أوروبا كما عمل بين عام 1820م إلى غاية سنة 1830م على خلق المستشرقين شباب تألقوا في سماء أوروبا حتى سنة 1860م[7]، ترجم كثير من أعمال المقري منها : "نبذة عن العقود في أمور النقود" سنة 1796م وتلخيص كتاب "الخطط" سنة 1797م، ترجم كتاب "الحمام الزاجل" لميكائيل الصباغ سنة 1816م و"مقامات بديع الزمان" للهمذاني و

1- نابليون بونبارت: ولد في 15 أغسطس سنة 1769م تخرج في مدرسة الحربية، كانت مهمة نابليون القضاء على القوى المتحالفة ضده فرنسا أثناء الثورة الفرنسية خاض العديد من الحروب قادا حملة على مصر سنة 1798 نفي إلى جزيرة سانت هيليان قضى فيها ستة سنوات حتى توفي في سنة 1821م عن عمر يناهز 51 سنة متأثر بسم الزرنيخ... بنظر إلى: أيمن أبو الروس، نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوروبا ثم وقع في الفخ الروسي، (ط1)، مكتبة ابن سنيا، القاهرة، 2013، ص، ص: 5، 8 ،19 ،38، 100.

2- زينات بيطار، المرجع السابق، ص:49

3- محمد بن عبد الله عامر، المرجع السابق، ص:62.

4- أيمن أبو الروس، المرجع السابق، ص: 55.

5- زينات بيطار، المرجع السابق، ص:49.

6- سلفستر دي ساسي: ولد في باريس سنة 1758م و هو الابن الثاني لإبراهيم سلفستر الذي كان موثقا في باريس وفرت له أمه مؤدبا في البيت لضعف صحته فتحصل على المعارف الجديدة في الأدب الكلاسيكي وتذوق اللغات الشرق وهو رجل دين تابع للقديس سان جرمان ينظر: محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص: 96.

7- خليل الهنداوي، المرجع السابق، ص: 105.

"البردة" للبوصيري ، و من الأدب الجاهلي عند العرب ترجم "كليلة و دمنة "في ستة عشر باب[1] و أصدر كتاب "النحو العربي" سنة 1810م[2] .

ألف المستشرق هين سنة 1803م كتاب في أصول اللغة العربية العامية و وصف مارسيل سنة 1877م معجمه بعنوان "كنز المصاحبة" وهو معجم فرنسي_ عربي عامي، نشر كازيميرسكي في باريس سنة 1860م قاموسا عربيا فرنسيا في مجلدين، وترجم بيرنيه سنة 1846م كتاب "الاجرومية في القواعد العربية" لمحمد داود الصنهاجي إلى الفرنسية وأضاف ملحقا لتفسير الكلمات العربية وغيرها من لأعمال [3] كذلك شهد القرن التاسع عشر ازدهار الجمعيات الشرقية وإصدار المجلات والمطبوعات.

عرف الإستشراق الفرنسي في القرن التاسع عشر الميلادي شكلا مؤسساتيا تجلى في تعدد الجمعيات والمنشورات من أهمها على سبيل المثال الجمعية الأسيوية ومؤسسة باريس في سنة 1873م ثم تلا هذا ما لا يقل عن ستة عشر مؤتمر، فقد باتت دراسة شرق مهمة رسمية حكومية[4].

كان الإستشراق الفرنسي في القرن العشرين قد ارتبط بالدائر الاستعمارية والكنيسة ولا يزال قائما حتى الآن، استطاع المستشرق أن يغير أسلوبه ووسائله ويطورها حسب تطور الظروف، فقد سخر المستشرقين الفرنسيين جميع طاقاتهم ليحققوا مآربهم لخدمة دولتهم، ناهيك عن الأنشطة التي استهدفت لتحريف حضارة الإسلامية والخطط والمشاريع التي اختصت بالقرآن والنبي محمد صلى الله عليه وسلم لممارسة الدعاية ضده بهدف صرف المسلمين عن هويتهم من اجل توسيع نفوذ الفرنسي وربط ثقافة الشعوب المستعمرة به .[5]

2–مظاهر نشاط المدرسة الإستشراقية الفرنسية: تميز الإستشراق الفرنسي بالعديد من المظاهر التي تجسدت في شكل مؤسسات أنشأتها فرنسا في الأمور التالية:

1– عبد الرؤوف خريوش، دو المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع 15، 2009، ص: 07.

2– خليل الهنداوي، المرجع السابق، ص: 105.

3– محمود مقداد، المرجع السابق، ص_ ص: 122_123.

4– زينات بيطار، المرجع السابق، ص: 35.

5– سلمى حسن الموسوي العلوان، المرجع السابق، ص: 204.

أ–كراسي اللغات الشرقية:

كمدرسة ريمس بأمر من البابا سلفستر الثاني ومدرسة شارتر في القرن الثاني عشر ميلادي[1] وفي عام 1795م أنشأت جامعة باريس كرسيا للغات السامية كما أنشأت مدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية للسفراء والقناطير والتجار في باريس إضافة إلى جامعة سربون[2]، وأسس نابليون معهد مصر عام 1798م ومن ثمة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة[3] الذي أنشأه ماسيربو عام 1880م بالإضافة إلى ذلك أنشاء مدرسة الآداب العليا في الرباط سنة 1931م.[4]

ب–المكتبات الشرقية :كونت فرنسا مكتبات عديدة عنيت بالمصادر الشرقية والعربية الإسلامية من بينها "مكتبة باريس الوطنية" التي أنشأت سنة 1654م تحتوي على ستة ملاين من كتب ومخطوطات تعتبر من نوادر النفائس العلمية والأدبية ومن بين مكتبات الجامعات والمعاهد نجد مكتبة "ستراسبورغ" ومكتبة "بلدية أفينيون" ومكتبة "الجمعية الأسيوية" في باريس[5]، أما المكتبات الخاصة نذكر على سبيل المثال مكتبة "فرانك "ومكتبة "الكونت رشيد دحداح"، والمكتبات الموجودة في شمال إفريقيا كمكتبة "آل عظوم "في القيروان.

ج–المطابع الشرقية: بدأت الطباعة الشرقية بالعربية في باريس سنه 1519م ثم أسست فرنسا مطابع من أهمها مطبعه "دي بريف"[6]، دون أن ننسى المطبعة التي أخذها نابليون أثناء حملته على مصر[7].

د_ الجمعيات إستشراقية: ومنها الجمعية الأسيوية الفرنسية التي تأسست في باريس سنه 1822م صدر كتابها ثانوي عام 1992م من أهم أهدافها تأليف ونشر الكتب النحوية واللغوية.

1- مارية جوهر، المرجع السابق، ص: 110.

2- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص:154.

3- أيمن أبوروس، المرجع السابق، ص: 54.

4- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص: 155.

5- جواد كاظم النصر الله، شهيد كريم الكعبي، المرجع السابق، ص: 99.

6- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج1، ص: 158

7- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص: 81

هـ–المجلات الشرقية: لفرنسا مجلات خاصة بالاستشراق في باريس وشمال إفريقيا والشرق الأدنى أهمها "المجلة الأسيوية "التي أصدرتها الجمعية الأسيوية في باريس سنة 1822م و"حوليات الجغرافيا" التي صدر في باريس سنة 1891م و"مجلة هيسبيرس" التي أصدرها هنري باسمه في باريس تحت إشراف معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط سنة 1921م[1].

و–المجموعات الشرقية: ناهضت المجامع وإدارات الحكومية والهيئات الخاصة بإصدار مجموعة علمية ومن أشهرها، مجمع الكتابات والآداب 1663م، كما أصدر مجموعة مؤرخي الصليبية ستة عشر مجلدا ومجموعة الكتابات السامية 1872م وتقع في خمس أقسام: النصوص الفينيقية والأرمية والعربية والحميرية والسبئية[2]

3.خصائص المدرسة الإستشراقية الفرنسية: تميز الإستشراق الفرنسي بسمات عديدة وذلك بتنوع أهدافه حسب مراحل التاريخية نذكر أهمها:

تتركز دراسة المستشرقين الفرنسيين حول ثلاثة محاور وهي المحور الديني و السياسي و الاستعماري فقد تركز اهتمام مستشرقين الفرنسيين بما يخص الشرق وشمال إفريقيا وغربها من الناحية السياسية مما دفعهم إلى دراسة هذه المناطق دراسة علمية وافية تناولت جميع مناحي حياتها الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية لاستعمالها لأغراض سياسية مثل ما لعبه الإستشراق في الحملة الفرنسية على مصر و الجزائر .

العامل الديني و التبشيري و التنصيري الذي سعت فرنسا إلى تحقيقه فقد امتاز الإستشراق الفرنسي في أول بداياته بنعرة دينيه قوية تمثلت في محاولة نشر الكاثوليكية ومنافسة المذاهب المسيحية الأخرى وخاصة البروتستانتية فقد أنشأت معظم الجامعات والمعاهد الفرنسية بجهود رهبان والقساوسة كما تولوا إدارتها.

يمتاز الإستشراق الفرنسي بالتخصص فمعظم أفراده يتخصص كل منهم في جانب معين من الدراسة والبحث وأهم شيء قدمه هو تطبيق المنهج التاريخي على التراث العربي الإسلامي لأول مرة، ففي السابق كان تراث يدرس بطريقة تبجيلية أو تقليديه ما ورائية فقط أما الآن أصبح يدرس بطريقة تاريخية

1- جواد كاظم، شهيد كريم، المرجع السابق، ص:98.

2- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص_ ص: 163_165.

سوسيولوجية أي من خلال وصفه ضمن الظروف التاريخية والاجتماعية التي شهدت نشأته وتطورها وتحولاته عبر التاريخ[1].

يعد الإستشراق الفرنسي المرجع الأوروبي الأول للأبحاث والدراسات الخاصة بالطوارق والبربر والدراسات الإفريقية، حيث كان ا الاستعمار في إفريقيا يعد عاملا مساعدا لهذا النوع من الدراسات التي كان يحتاج إليها كما انه ترك بصماته الواضحة في الحياة الاجتماعية و خاصة على التعليم في شمال إفريقيا وذلك ما أتيح له العديد من فرص في التدريس والتوجيه التربوي والتخطيط لمناهج جديدة [2].

اهتمت المدرسة الإستشراقية بدراسة البنيات الاجتماعية بالمغرب ما أعطى رصيدا معرفيا مهما فيما يخص الأنثروبولوجيا المغربية فمجمل الدراسة الكتابات كانت تهم القبيلة والزاوية وعلاقتهما بالمخزن[3].

المبحث الثالث: السياق التاريخي للاستشراق الفرنسي في الجزائر.

بعد أن أدركت فرنسا السياسة العسكرية وحدها لا تكفي ولابد من اعتماد على سلاح العلم، جعلت من الإستشراق وسيله تحقق بها مشاريعها الاستعمارية، وهو ما قامت به في الجزائر حيث لجأت للاستعانة بالمستشرقين الفرنسيين ليوفروا لها المعلومات الكافية للمجتمع الجزائري ولم تتوقف عند هذا الحد بل نجدها سارعت إلى توفير الآليات والوسائل الكفيلة لنجاح مهمتها.

أ–نشأة الإستشراق الفرنسي في الجزائر

أبدت الدول الأوروبية اهتماما بالغا بالجزائر منذ زمن بعيد وكانت على رأس هذه الدول فرنسا التي سعت جاهدة من اجل احتلالها وضمها إلى مستعمراتها فسبقت هذه الرغبة العديد من المشاريع والمخططات الاستطلاعية امتدت من سنة1741م إلى غاية سنة1809م[4] من أبرزها مشروع بوتان الذي

1- مارية جوهر، المرجع السابق، ص: 116

2- محمد فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص:85.

3- مارية جوهر، المرجع السابق، ص: 118.

4- محجوبي زهرة، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر، 1830-1740، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، جانفي 2012، ص-ص: 86-87.

قام به المهندس العسكري بوتان سنة 1808م بأمر من نابليون[1]، اضافة إلى تأليف العديد من الكتابات ك كتابات ديفون تين و بوستيل و فانتوي بارادي [2]ولم يقتصر هذا الاهتمام على الفرنسيين فقط بل ظهر جليا لدى الكتاب الإنجليزي كجوزيف مورغان وكتابه "الكامل في التاريخ "الذي طبع في لندن سنه 1731م أضافه إلى ما قام به الانجليزي بلوم في كتابه الذي قدم فيه وصفا كاملا عن مدينه الجزائر وعنوانه: (Algiers 1678 of the time island of Jamaica with the state of description[3]).

بعد تأزم الوضع بين الجزائر وفرنسا سنه 1827م استغل المستشرقون هذه الكتابات لإعداد أبحاثهم الإستشراقية وذلك من خلال ترجمتها وكان لمدرسة اللغات الشرقية دور بارز في هذه العملية بقيادة زعيمها سلفستر دي ساسي، لقد راهنت فرنسا على مستشرقيها أكثر مما هو الحال على جيوشها ويظهر ذلك من خلال مجموعة من المترجمين والكتاب المهتمين بحياة الشرق الذين جندتهم ضمن حملتها العسكرية على الجزائر[4]، ولم تكتفي بذلك بل أنها حثت على توظيف الرسامين التشكيليين المستشرقين ودفعتهم إلى السفر مقابل إقامتهم فيها والتكفل بإيوائهم[5] ولما نجحت الحملة الفرنسية انطلق كل فريق في مجال عمله و اصبح تحرك الجيش مرتبط بهؤلاء بالخبراء و المترجمين [6] .

ومن هنا يمكننا القول أن نشأة الإستشراق الفرنسي في الجزائر لا يمكن حصرها في الفترة التي تلت الاستعمار الفرنسي بل أن الاهتمام كان قبل ذلك بزمن .

ب–مراحل استشراق الفرنسي في الجزائر: مر توغل الإستشراق الفرنسي في الجزائر بثلاث مراحل متباينة شاهدت كل مرحله خصائص ومميزات تمثلت في:

1– محمد جعيجع، دور الإستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، جامعه الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص: 28

2– أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الغرب الإسلامي، (ط 1)، بيروت، 1998، ص: 09.

3– عبد الحميد برقية، الإستشراق الفرنسي في الجزائر في ما بين 1879–1962 دراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة في الطور الثالث، تاريخ معاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، ص: 84.

4– أبو قاسم سعد الله ا، المرجع السابق، ج 6، ص – ص: 9–10.

5– محمد خالدي، المسرحيين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجله الأثر، ع 13، جامعه تلمسان، 2012، ص: 275.

6– أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 11

المرحلة الأولى من1830 –1879:

شهدت هذه المرحلة ظهور حركة ترجمة جسدها في أول الأمر عسكريون إضافة إلى مترجمين إداريين وقضائيين[1] استعانت بهم فرنسا خلال حملتها على الجزائر وتذكر المصادر أن عددهم قد بلغ 69 مترجم منهم فرنسيون وآخرون من عرب المشرق ويهوده[2] من بينهم: جون فرعون[3] وجاك شال زاكار[4]، إلى جانب الترجمة فقد اتسمت هذه المرحلة بالتأليف المعجمي للدارجة الجزائرية وذلك بهدف تسير عمليه التواصل بين الفرنسيين والجزائريين[5] وهذا تبعا لشعار سلطه الاحتلال القائل: «ملكنا الشعب الجزائري بالسيف والمحراث وعلينا الآن أن نمتلكه بالكلمة والقلم»، [6]ولقد نتج في هذا المجال العديد من المعاجم نذكر منها المعجم العربي الفرنسي والفرنسي العربي الذي نشره دي ساسي[7]

1- أبو قاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص: 124

2- حنيفي هلايلي، المترجمون في جيش الفرنسي آليات وركائز للإدارة الاستعمارية في الجزائر 1830-1962، مجلة الحوار المتوسطي، ع11، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص: 176.

3- جوني فرعون: هو مصري من أبي سوري ولد سنه 1803 تخرج من مدرسه اللغات الشرقية وتولى تدريس اللغة اللاتينية في مدرسة سانت بارغ الثانوية سنه 1821 ليعين بعدها مستشرقا على الضباط المصريين الذين كانوا يدرسون في المدرسة الحربية في طولون 1827 وبعد الحملة أصبح كاتبا ومترجما... ينظر: عبد الكريم حمو، دور المستشرقين في احتلال الجزائر، ص: 323.

4- جاك شارل زاكار: هو الأب زاكار المولود بسوريا في 19 جوان من سنه 1789 كاهن درس بدير لبنان استدعي إلى باريس سنة 1830 من اجل كتابة البلاغ الموجه لسكان العاصمة كما نصب كمترجم شفوي من الدرجة الأولى ولما ترقى شغل منصب مترجم شفوي رئيسي سنة 1889 ينظر: بالليل وداد، الترجمة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، أطروحة مقدمة لنيل دكتورة، قسم اللغة والآداب، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2016-2017، ص: 67.

5- عبد الحميد برقية المرجع السابق، ص: 88.

6- جمال كركار، ترجمه المستشرقين للنص الديني فتره الاحتلال الفرنسي نموذجا، مجله المعارف، ع 6، المركز الجامعي العقيد اكلي محند اولحاج، البويرة، ص: 252.

7- عبد الحميد برقية، المرجع السابق، ص: 88.

تم في هذه المرحلة استحداث الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر للعديد من المؤسسات في مقدمتها المكاتب العربية التي جعلتها فيما بعد بمثابة نوافذ استشراقية تهدف إلى استكشاف المجتمع الجزائري من خلال تركيبته وأصوله وعادته إضافة إلى طرق معيشته.[1]

إنشاء معهد مزدوج للغة العربية واللغة الفرنسية سنه 1857م بالعاصمة اطلق عليه اسم المعهد السلطاني وهذا نسبه إلى نابليون الثالث يشرف عليه أساتذة فرنسيين [2]من أبرزهم واكتاف هوداس[3] ولويس بيرنه[4] في الأخير يمكن القول أن الإستشراق خلال هذه المرحلة كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بإدارة الاحتلال الفرنسي .

المرحلة الثانية من 1879 إلى 1930.

تميزت هذه المرحلة بإدخال عدد من الإصلاحات في فرنسا على التعليم العالي وأعيد تنظيم جامعة السوربون كما ظهرت مدرسة دوركا يم في علم الاجتماع[5] في المقابل تم تأسيس ثلاث مدارس للتعليم العالي في الجزائر بعد صدور قانون 20 ديسمبر 1879م وتمثلت هذه المدارس في مدرسة الأدب والحقوق، مدرسة الطب ومدرسة العلوم التي تحولت جميعهما فيما بعد إلى الجامعة الجزائر بموجب قانون 30 ديسمبر 1909م[6] كذلك في هذه المرحلة انعقاد مؤتمر الإستشراق الرابع عشر في الجزائر سنة

1- موسى هيصام، محمد ابن شنب والمحافل الاشتراكية مؤتمر الجزائر 1905 نموذجا، سلسلة المحاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، منشورات مديريه الثقافة، 07 إلى 10 ديسمبر 2014، المدية ص: 231.

2- عبد الكريم حمو، المرجع السابق، ص: 326.

3- أوكتاف هوداس: ولد سنة 1840 انتدبته الحكومة الاستعمارية بعد أن تخرج في اللغات الشرقية في باريس، عمل مدير لمدرسة وهران، أصدر مصنفا في تاريخ الباشوات العثمانيين في الجزائر سنة 1515 إلى سنة 1745، ونشر في حلقات ضمن المجلة الأسيوية ... بنظر: محمد جعيجع، المرجع السابق، ص: 34

4- لويس برنيه: من مواليد مونتيغري سنة 1814، اشتغل في الطباعة ثم تولى كرسي العربية في مدينة الجزائر سنة 1836 إلى وفاته 1869، شارك في مشاريع عدة علمية لاكتشاف المجتمع الجزائري كما أنه أخرج أفواج من المترجمين. ينظر: بركان بحي الإستشراق الفرنسي في الجزائر الجانب الاجتماعي، مجلة المتون، ع01، جامعة مولاي طاهر، سعيدة ،2019، ص: 124.

5- جغلولي يوسف، تالي جمال، الإستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع06 جامعة مسيلة، جيجل، ص :514.

6- عبد الحميد برقية، المرجع السابق، ص: 95-96.

1905م برئاسة رينه باصيه[1] و بعض الشخصيات المختلفة[2] تناول مواضيع متنوعة في السياسة الاستعمار والآثار والأنثروبولوجيا وغيره.

ظهرت خلال هذه المرحلة مجلة العالم الإسلامي في سنة 1906م برئاسة ألفريد لوش اتليه[3]، إضافة إلى صدور عدة دوريات متخصصة من طرف مدرسة الطب مثل النشرة الطبية للجزائر (le bulletin de l'Algéri médical)، والجزائر الطبية (Alger médicale)، كما شهدت هذه الفترة الاحتفالية المئوية للاحتلال سنة 1930م والتي شكلت لها لجنة علمية منذ 1927م وأوكلت لها مهمة كتابة بحوث ودراسات وانجاز نشرات وإقامة معارض للتعريف بالجهود الحضارية التي قامت بها فرنسا على أرض الجزائر[4]

في ختام هذه المرحلة نستنتج أن الحركة الإستشراقية في الجزائر عرفت انتعاشا كبيرا وقفزة نوعية خاصة بعد تأسيس جامعة الجزائر سنة 1909م.

المرحلة الثالثة: 1930م–1962م.

امتازت هذه المرحلة بالتوسيع في إنشاء المعاهد المتخصصة كمعهد الدراسات الشرقية و معهد الدرسان الصحراوية ثم معهد الدراسات العربية[5]، وزيادة على ذلك فقد تم تأسيس معهد للتهيئة العمرانية سنة 1942م ومعهد علم السلالات و الأصول العرفية خلال سنة 1956م بالإضافة إلى تحويل

1- رينيه باصيه: من مواليد سنة 1855 في فرنسة شغل منصب التدريس في فرنسا باللغات الشرقية قبل المجيء إلى الجزائر، أصبحت في سنة 1885 من الأساتذة الرسمين في الجزائر ثم تولى منذ 1894 إدارة المدرسة العليا في الجزائر على إثر وفاة إميل ما سكري... ينظر: عبد الرؤوف قرناب، المدرسة الإستشراقية في الجزائر فترة الاحتلال الفرنسي، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع8، جامعة الجزائر 01، الجزائر، 2018، ص: 471.

2- المحسن بن علي بن صالح السويسي، المرجع السابق، ص – ص: 295-296.

3- جغلولي يوسف، المرجع السابق، ص: 515.

4- عبد الحميد برقية، المرجع السابق، ص: 99.

5- جغلولي يوسف، المرجع السابق، ص: 515.

المدارس الشرعية الثلاث إلى ثانويات مزدوجة ذات مستويين متوسط و ثانوي في عام 1944م لتصبح سنة 1951م ثانويات فرانكو يزلمان "فرنسية إسلامية"[1].

يبدوا أن الإستشراق خلال هذه المرحلة واجه هزة عنيفة خلفتها الحرب العالمية الثانية ثم ثورة الجزائر 1954م فالحرب الباردة التي كانت منذ سنة 1945م إلى غاية سنة 1989م[2].

3-مجالات الإستشراق الفرنسي في الجزائر.

أ -مجال العلمي:

- تأليف المعاجم: ولقد وضع تحت تصرف الجيش الفرنسي معجمين عربيين أولهما مشفوع بجوازات وقد وضعه الترجمان بن يمين فإنسان ونشر بأمر من وزارة الحرب أما الثاني فصاحبه إبراهيم دانينوس بالإضافة إلى مؤلف أخر أفادهم وهو المعجم الفرنسي العربي للهجات الدارجة الإفريقية بالجزائر وتونس والمغرب ومصر الذي نشره المستشرق جان جوزيف مارسيل سنة 1837 بباريس[3].

- البحث عن المخطوطات العربية وتحقيقها: اهتمت الدراسات الإستشراقية الفرنسية بكل ما تعلق بالجزائر منذ بداية الاحتلال من بينها المخطوطات، كانت تشكل إرثا هائلاً سعى المستشرقين للبحث عنه وجمعه من خلال حجزه ومصادرته أو نسخه في حالة تعذر الحصول عليه تم حفظه في مكتبات الجزائر[4]، يصف لنا المترجم الفرنسي في الجيش وليم ماك غيكين في رسالته التي بعث بها إلى وزير التربية الفرنسية أن مكتبة الجزائر تحتوي على ما يقارب 700 مخطوط جمعها تقريبا السيد أدريان باربريجر وهي ذات أهمية كبيرة من حيث العدد[5]

1- عبد الحميد برقية، المرجع السابق، ص: 100.

2- جغلولي يوسف، المرجع السابق، ص: 118.

3- سهيل دربوش، الإستشراق الفرنسي بالجزائر بين 1830-1930 قراءة مقال لهنري ماسي ترجمة محمد يحياتن، جامعه مولود معمري، تيزي وزو، ص: 169.

4- رشيد بن قسيمة، المدرسة الاستشراقية الفرنسية وجهودها في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمتها ابان فترة الاحتلال الجزائر (1830-1962)، مجلة إشكاليات في اللغة والآداب، م10، ع2، المدرسة العلية، بوسعادة ،2021، ص:208.

5 - احمد مسعود سيد علي، الاستشرق الأنثروبولوجي الفرنسي بالجزائر وارتباطاته بالتنصير، مجلة قضايا تاريخية، ع2، قسم التاريخ، جامعة مسيلة، 2016، ص: 111.

ب – المجال الديني :

ظهر لدى المستشرقين الاهتمام "بالإسلام الجزائري "الذي كان في نظرهم مجرد ممارسات بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وتعاليمه فهي تعني التخلف والسحر وإقامة الذبائح والزردات على شرف الأولياء والصالحين ونتج عن هذه الأفكار العديد من المؤلفات من بينها كتاب الفرق الإسلامية في شمال إفريقيا لألفريد بيل[1] وكتاب مرابطون وأخوات للويس رين[2].

كما ظهر إلى جانب اهتمام الفرنسيين بالإسلام دراسات عن الجهاد الديني حيث اهتم بروسلار والعقيد دونوفو بالطرق الصوفية فنشر الأول عن تلمسان وحياتها الدينية وآثارها والثاني عن دور الطرق الصوفية والمرابطين في التاريخ والثورات[3].

ج – المجال الثقافي :

–الاهتمام بالعامية: بعد دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر لاحظ المستشرقون أن هناك لغة أخرى تجاري في أهميتها اللغة العربية الفصحى ألا وهي اللغة العامية أو الدارجة كما أدركوا أن حاجتهم الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تنجز إلا باستعمال هذه اللغة فبدأوا يجتهدون في تعلم وتعليم العامية والدعوة لتعلمها من خلال إنشاء كرسي للهجة الجزائرية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة 1864 ولتسهيلها على المتعلمين اقترح بعض المستشرقين أمثال ما سينون إلى تعليمها وكتابتها بالحروف اللاتينية[4]

في التسعينات انطلقت الدراسات الإستشراقية للهجات العربية في الجزائر وأخذ كل مستشرق يدرس لهجة أو أكثر في المدن والأرياف من خلال زيارة المكان أو الاستعانة بالتلاميذ الجزائريين لجمع المادة وكتابتها في المجلات والمؤلفات[5].

1- ألفرد بل: (1883_1945)، أقام ردحا من الزمن في شمال إفريقيا، كان مديرا لمدرسة تلمسان حيث درس تاريخها وجغرافيتها وآثارها ووصف أبنيتها وفك رموز نقوشها وكتاباتها...ينظر إلى: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج01، المرجع السابق: 256.

2- أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 6، ص: 52

3- عبد الرؤوف قرناب، المرجع السابق، ص: 473.

4- الطيب ابن إبراهيم، الاستشراف الفرنسي وتعدد مهامه (خاصة في الجزائر)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2009، ص: 267.

5- سعيد بوخاوش، من مظاهر سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، مجلة اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة، ص: 23.

–في الشعر الشعبي العربي : بعد أن علمت فرنسا أن الشعر وسيلة تعبر عن حقيقة الروح الجزائرية المقاومة لاحتلالهم قامت بمحاربة المداحين والقوالين لأنهم كانوا نقلة الشعر ومروجيه في المقابل جندت مستشرقيها وضباطها المستعمرين لتحليل نصوصه وتفسير رموزهم، ومن بين هؤلاء نذكر رينيه باصيه وتلميذاه الاسكندر جولي وجوزيف ديبارمي ولقد شملت هذه الدراسات العديد من المناطق الجزائرية كالحضنة والاغواط وتيارت وبسكرة ومع حلول القرن العشريين ظهر أول مطبوع للشاعر الشعبي ذائع الصيت في الجزائر والمغرب الأقصى (أبو عثمان بن سعيد عبد الله المنداسي)وقصيدته لطولة العقبقة التي قام بترجمتها والتعليق عليها فوربيجي (faure biganet) سنة 1901[1].

د– المجال الفني:

كان احتلال الجزائر بمثابة الاكتشاف العظيم الذي فتح لهم أفاق جديدة إذا انبهر الفرنسيون وهم يشاهدون الجزائر وما لها من جمال طبيعي وفني[2]، فوظفت فرنسا لأجل هذا مجموعة من الرسامين الذين كانوا يعملون كمراسلين حربين وأوكلت لهم مهام أخرى متمثلة في رسم أعمال فنية إيضاحية لمعارك الجيش الفرنسي ضد المقاومة الجزائرية ومن بين الفنانين الفرنسيين العسكريين الذين كانوا ضمن الحملة نذكر ألكسندر جين (Alexandre gent) وفاسبار قوير (gaspar gaubaut) وغيرهم[3].

1– سعاد حميدة، الإستشراق الفرنسي والثقافة الشعبية الجزائرية، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية ع02، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف، ميلة، الجزائر، ص: 216.

2– خالدي محمد، الإستشراق الفرنسي وأثره في نشأة الفن التشكيلي، مجلة الجماليات، م1، ع5، جامعة احمد بن بلة وهران، 2018، ص: 49.

3– ليليان عثمان الطيب، صورة المرأة الجزائرية في لوحات الرسام الأمريكي المستشرق فريد بيرك أرثر بريد جمان، المركز الديمقراطي الغربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، (ط1)، ألمانيا، 2022، ص: 29

الفصل الثاني:

قراءة في كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880م لـ ايفون تيران

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المؤلفة.

المبحث الثاني: الدراسة الشكلية للكتاب.

المبحث الثالث: الكتاب برؤية نقدية.

بعد سقوط الاحتلال واستقلال العالم الإسلامي لم تنتهي الحركة الاستشرافية وإنما أعيد بعثها بصفة جديدة تحت اسم الدراسات العربية الإسلامية بأدوات فكرية جديدة مستفيدة من التطور الحاصل في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية من حيث الشكل ، أما من حيث المضمون فقد اهتمت بدراسة الشرق الإسلامي خلال فترة الاستعمار وكمثال على ذلك الجزائر التي كانت محط اهتمام المستشرقين والمستشرقات الفرنسيات.

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المؤلفة ايفون تيران.

كان الإستشراق في زمن الماضي يحتكر من قبل الرجال فاغلب الدراسات الشرقية قد أنتجت من طرف مستشرقين ونادرا ما نرى اهتمام النساء بهذه الظاهرة لكن في سبعينيات القرن العشرين أصبح ميدان الإستشراق يشمل الأبحاث النسوية ولنا في هذا نماذج كثيرة من بينها المستشرقة الفرنسية ايفون تيران (Yvonne Turin).

1-مولدها و نشأتها:

ولدت ايفون تيران في 31 ماي من سنة1921م في منطقة ميس رون (Meys Rhône) كانت هي الأكبر بين أشقائها الذين نشئوا على صناعة الحرير [1]، تلقت تعليما جيدا حيث تحصلت على شهادة في التاريخ بعد دراستها في جامعة ليون (Lyon) في أربعينيات القرن الماضي، عملت إيفون تيران كمدرسة مدة ستة سنوات في التعليم الثانوي في منطقة ليوهانز (Louhans) من سنة (1946 _ 1952م) طلبت إجازة دراسية و غادرت إلى إسبانيا ، مكثت في مدينة كاسا دي فلاسكز (Casa de

1- كان والدها كلوديوس أنطوان لوران توريت (Claudius Antoine Lorent Turin) والذي ولد في سنة 1891 وتوفي في 1971 يدير مصنعا للنسيج في ميس ووالدتها ربة منزل ينظر: Yvonne Tourin،Rebecca Rogers https://hal-univ-paris.archives-ouvertes.fr/hal-03913377

Velasquez) و بقيت هناك إلى غاية سنة 1955م من ثم عملت كباحثة في المركز الوطني للبحث العلمي المعروف بـ : (C N R S) من سنة 1955م إلى غاية 1958م وبعدها تابعت دراسة الدكتورة.

بعد المدة التي قضتها إيفون تيران في التعليم الثانوي توجهت بشكل أساسي للتعليم العالي أولا في شمال إفريقيا (1958م – 1962م) في كلية الأدب بجامعة الرباط (المغرب) و كلية الأدب في جامعة الجزائر العاصمة من سنة 1962م إلى سنة 1963م ، بعدها عملت في منصب رئيسة أعمال في المدرسة العليا للدراسات المتقدمة المعرفة بـ(E L H E) من سنة 1965م إلى غاية 1966م لتعود من جديد و تدرس في جامعة الجزائر في الفترة الممتدة من 1969م إلى سنة 1975م، و قد تمت دعوتها في العديد من المرات إلى إلقاء محاضرات في أسبوع الفكر الإسلامي الذي نظمته السلطات الجزائرية.

درست في جامعة كليرمون فيران (Clermont Ferrand) تاريخ الحديث والمعاصر من سنة 1978م ثم انتقلت لتدرس في جامعة ليون 2(Lyon 2)من سنة 1978إلى أن تقاعدت سنة 1985م، توفيت إيفون تيران عن عمر يناهز 88 سنة وذلك في 26 فيفري من سنة 2010م في منطقة ميس رون[1].

2-نتاجها العلمي:

كانت إيفون تيران مهتمة بمجال تاريخ الحضارات[2] ولها سجل عملي حافل بالإنجازات تركزت أعمالها في البداية على دراسة تاريخ التعليم في إسبانيا بتقديم أطروحة تكميلية في كلية الأدب في جامعة ليون بعنوان[3] "التعليم والمدرسة في اسبانيا من 1884 إلى 1902م "التي دخلت قائمة الكفاءات للتعليم العالي

1- Rebecca Rogers, Op,Cit , p_p: 01-02.

2 Xavier Yacono، Yvonne Turin، Affrontements culturels dans l'Algérie Coloniale، Ecoles، Médecines Religions, 1830-1880، In: Revue d'Histoire Moderne et Contemporain،t 20، n° 2,1973، P: 342. https://www.persee.fr/doc/rhmc_00488003_1973_num_20_2_2252_t1_0342_0000_2

3 -Rebecca Ragers, Op , Cit ، ، p: 02.

سنة 1959م، وبعدها قدمت أطروحة تكميلية في التاريخ سنة 1964 بعنوان " جامعة ميغل دي أونامونو " تكلمت فيها إيفون تيران[1] عن المهنة الأكاديمية والأدبية والسياسية للسيد دي أونامونو (Miguel Unamuno) ونشاطه في عملية الإصلاح الفكري الذي كان يقوم على مكافحة المعوقات اللاأخلاقية والسياسية لحرية الفكر في إسبانيا[2].

من أهم المقالات التي كتبتها إيفون تيران عن تاريخ إسبانيا نذكر من بينها ما يلي: "رسالتين من اونامونو إلى جينيردي لويس" التي نشرت في مجلة هيسبانيني ومقال بعنوان: " مشكلة الجامعات ثورة 1868م في اسبانيا " والذي نشر في مجلة التاريخ الحديث والمعاصر للمغرب العربي بالإضافة إلى مقال أخر يتحدث عن الثورة و الإيديولوجيات بعنوان: " الثورة العلمية دراسة إيديولوجية للحركة الثورية لإسبانيا " الذي نشر في المجلة التاريخية.

خلال الفترة التي قضتها إيفون تيران في الجزائر تحولت اهتماماتها لدراسة الأرشيف الاستعماري الفرنسي للبحث في السياسة الفرنسية في الجزائر وقد نشرة العديد من أبحاث في هذا الصدد نذكر من بينها المقالات التالية: " من أجل تاريخ الفكري لمعلمي التوسع الاستعماري والاستعمار في الجزائر في القرن التاسع عشر" نشرت في المجلة التاريخية ومقال يتحدث عن المدارس والتعليم بعنوان: "بلدية الجزائر ومدارسها في عام 1871م " بالإضافة إلى مقال يتحدث عن العلمانية بعنوان "مشكلة العلمانية الاستعمارية" نشر في مجلة المغاربية للتاريخ و الحضارة، و مقال اخر بعنوان: "الجنرال دوماس و التعليم" نشر في مجلة تاريخ المغرب ، نذكر مقال الذي يتحدث عن الطب بعنوان: "طب الدعاية و الاستعمار تجربة بوفاريك في عام 1835م"[3] وفي الأخير نذكر المقال الذي نشرته في مجلة الأصالة سنة 1973م يتحدث عن ماهية التاريخ و تطوره عبر الزمن بعنوان : " حول جنسية التاريخ "[4]

1 -Ibid.، p :02.

2- Herren Beatrice Miguel de Unamuno, Universitaire (Yvonne Turin), revue Suisse d'historien, 1965, p : 138.

3- Rebecca Ragers, Op, Cit, p : 0 3

4- ايفون تيران، حول جنسية التاريخ، مجلة الأصالة، ع14 . 15، 1973، ص : 87.

أجرت ايفون تيران أبحاثها عن الجزائر من سنة 1830م إلى 1880م[1] في كتاب الذي أصدرته بعنوان المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة سنة 1971م، و يشير التقرير الإداري الذي صدر عام 1973م عن المستشار الثقافي للسفارة الفرنسية في الجزائر بقول :" هذا الكتاب قد حظي باهتمام كبير في الجزائر العاصمة" ، كذلك في هذي الفترة الزمنية وجهت ايفون تيران اهتماماتها الخاصة حول التعليم الديني حيث قدمت مشروع لأطروحة الثانية حول الفلسفة التربوية في القران في الجامعة ليون و لكنها لم تتمكن من إكمالها، وثم قدمة أطروحتين الأولى بعنوان: " الرواية و المجتمع الاستعماري في الجزائري بين الحربين" في سنة 1980م و الثانية بعنوان: " اللهجة و لغة التدريس في مدغشقر خلال الفترة الاستعمارية و الاستقلال " في جامعة ليون 2 سنة 1981م [2] .

أصبحت إيفون تيران بعد هذه المدة الزمنية مهتمة بالإنجازات التاريخية لراهبات، حيث سلطت الضوء على التحرر الذي حققته النساء الراهبات منذ نهاية القرن الثامن عشر ميلادي بفضل التجمعات الدينية[3] وقد خصصت هذه الدراسة لراهبات الفرنسيات فقط أي أن الجميع الشخصيات التي يتم استعراضها ضمن الكتاب هي فرنسية بعنوان: " النساء الراهبات في القرن التاسع عشر النسوية في الدين" نشر سنة 1989م استخدمت فيه المراسلات الموجودة في أرشيف للمجموعتين الدينيتين (مجموعة نانسي ومجموعة أخوات القديس جوزيف دوبون باستور من كلير مون فيران)[4].

المبحث الثاني: الدراسة الشكلية.

تمتلك الجزائر تاريخا عريقا شدً انتباه الكثير من المؤرخين والباحثين خاصة في القرن التاسع عشر ميلادي و هي الفترة التي وقعت فيها تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، نظرا لتنوع الأوضاع وكثرة الأحداث التاريخية

1- Xavier Yacono, Op ,Cit ، p: 342.

2- Rebecca Rogers, Op, Cit, p : 03.

3- Raitregui, Resenas, Scripta Thealagica Resenas, Revue de La Facultad de Teologia de l'universidad de navarra, T 23, 1991, p : 386.

4 - Rebecca Ragers, Op, Cit, p : 02.

نجد الكثير من الأبحاث المتنوعة من حيث الدراسة سواء من طرف العرب أو الأجانب لهذا سنقدم كتاب الموجهات الثقافية كأنموذج.

تقـــديم الكتاب:

كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830_ 1880 (Affrontements Culturels dans l'Algérie Coloniale écoles, médcine Religion, 1830-1880) كتب من طرف المستشرقة الفرنسية ايفون تيران (Yvonne Turin) سنة 1971 نشر لأول مرة في باريس (paris) من قبل دار النشر ماس بيرو (Maspero)باللغة الفرنسية، يحتوي الكتاب على 434 صفحة مقسمة إلى مقدمة تمهيدية وستة فصول وخلاصة مع قائمة للمصادر والمراجع ، فهرس وفي الأخير وضعت جدول تحليلي لما يحتويه الكتاب.

بعد سبعة و ثلاثين سنة ترجم الكتاب إلى اللغة العربية من طرف السيد محمد بن عبد الكريم أوزغلة سنة 2007 م و نشر من طرف دار القصبة للنشر و التوزيع في الجزائر العاصمة عدد صفحاته 428 تحتوي هذي النسخة المترجمة على مقدمة للمؤلفة تعبر فيها عن مدى سعادتها عند سماع خبر ترجمة كتابها إلى اللغة العربية و توجه شكرا خاص إلى المترجمين من خلال ما عبرت عنه " فشكري الجزيل للمترجمين عن العمل على قدر كبير من المجلة و الطول ، شكرا على تقديم هذا الكتاب لكل أولئك الذين لم يكن باستطاعتهم الاطلاع عليه للجزائريين ، و لكل أيضا لقراء آخرين من صعب الوصول إليهم شكرا كذلك على التقريب بين شعبين و بين تاريخهما و ذاكرتهما من خلال التقريب بين اللغتين العربية و الفرنسية"[1] .

لدراسة ثلاثة مظاهر من الحضارة مدة خمسون سنة من حقبة الاستعمار بداية من سنة 1830م إلى 1880م، قسمت إيفون تيران كتابها إلى ستة فصول جاء الفصل الأول بعنوان الانجازات الأولى المحققة (1848-1880م) و الفصل الثاني بعنوان الأهمية السياسية للمعلومات ، أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان الإداري ، و الفصل الرابع عنونته بعنوان من السياسة التعليم إلى رفض التمدرس (1850-

1- ايفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830-1880، تر: محمد بن عبد الكريم اوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص: 09.

1880) ، و الفصل الذي يليه بعنوان من الثانويات و المدارس العربية _الفرنسية التنظيمي العربية الفرنسية إلى رفض التمدرس ، و الفصل الأخير تطرقت فيه إلى الطب من (1850-1880م) من ثم خلاصة و قائمة للمصادر و المراجع و من ثم فهرس للمحتويات .

محتوى الكتاب:

تستهل ايفون تيران كتابها بمقدمة تتكون من ثلاثة وعشرون[1] صفحة، تطرقت فيها إلى أهم الصعوبات التي واجهتها وأهم الدوافع التي شجعتها لتأليف هذا الكتاب، بالإضافة إلى حديثها عن علاقة التدريس بالوثائق الطبية والدينية في كل من الحضارة الأوربية والحضارة الإسلامية مع إبراز الاختلاف الموجود بينهما بعد ان تحدث عن الاستعمار الذي ترى فيه كشكل من أشكال التأثير الفكري يدفع الحضارات التقليدية نحو التطور.

جاء الفصل الأول بعنوان "الانجازات الأولى المحققة 1830-1880" في ثمانية وستون صفحة[2] ، حاولت فيها إيفون تيران الإجابة على الإشكالية المطروحة و المتمثلة فما يلي " كيف كانت تقلبات هذا التطور للمدرسة و الطب"[3] عن طريق العناصر التالية أولها " الخلاف بين الجزائر و باريس " ، تطرقت فيه المؤلفة للحديث عن المرحلة الأولى بعد الغزو و التي كان فيها الخلاف قائما بين الجزائر و باريس حول قضية التعليم في الجزائر باعتبارها أمر مهم وجب على حكومة الفرنسية الاهتمام بها مع إبراز بعض الشخصيات التي لعبت دور حضاري في إقامة مشاريع لطب و التعليم، بعد نجاح في إنشاء بعض المدارس في الجزائر أبرزت لنا إيفون تيران أهم الصعوبات التي واجهت تطور المدرسة من مشاكل مادية إلى مشاكل اللغة إلى رفض أطفال العرب الحضور للدراسة دون أن ننسى مشاكل الفرو قات الاجتماعية والدنية .

1- ايفون تيران، المرجع السابق ،ص_ ص ، 11_32.

2- نفسه، ص _ص 37_84.

3- نفسه، ص: 40.

أما العنصر الثاني فقد كان بعنوان "الطب" قدمت من خلاله ايفون تيران لمحة عن بدايات الأولى للطب الأوروبي في الجزائر الذي تميز بقلة مشار مقارنة بالتعليم بإضافة إلى قلة المنشآت، أما الإطار التنظيمي للمستشفيات فقد ذكرت بأنه يعاني من نقص في الأطباء وقلة الإمكانيات والعديد من المشاكل المادية وبخصوص موقف الجزائريين منه فإنه رفض في البداية لكن بعد مدة أصبح مقبولا بعض شيء.

أما الفصل الثاني وعنوانه "الأهمية السياسية للمعلومات " ويتضمن خمسة وأربعون صفحة[1] عالج ثلاثة عناوين الأول " من الاستطلاعات إلى السوسيولوجية الكولونيا لية" وضحت فيه المؤلفة أهمية السياسية للمعلومات في المرحلة الثانية التي سمتها بمرحلة الاستكشافات، أما العنوان الثاني "اكتشاف أخر "، تحدث من خلاله عن التعليم العربي قبل الاحتلال بتقديم مجموعة من التقارير تفيد بأن التعليم الابتدائي قبل الغزو كان منتشرا بإضافة إلى تقارير تشرح تنظيم الزوايا وطبيعة مواردها وطريقة تعليمها.

تتحدث ايفون تيران عن فشل الوضعية التعليمية بعد الاحتلال باختفاء المدارس ونقص في المعلمين ورجال القانون والدين بتقديم مجموعة من الإحصائيات للمساجد والزوايا قبل وبعد الاحتلال مع دراسة الجانب الديني للمجتمع الجزائري موضحتا موقف السلطات الفرنسية من الزوايا التي كانت ترى فيها حاجزا أمام تقدمها.

العنوان الثالث " الملاحظات الطبية "، قدمت فيه ايفون تيران في البداية بعض التقارير و أقوال شخصيات سياسية و العسكرية تشرح من خلالها نفور العرب من استخدام الأدوية الطبية ، ورفض العلاج و خاصة في زمن الأوبئة كوباء الكوليرا عام 1849م ، بالرغم من ارتفاع نسبة الوفيات مع إبراز جهود بعض الأطباء لجعل مهنة الطب مقبولة داخل المجتمع الجزائري ،إضافة إلى هذا قدمت لنا بعض الحلول التي اقترحتها بعض الشخصيات في مجال التعليم يرون بأنه من الواجب زوال الزوايا و التخلي الكامل عن التعليم التقليدي الذي يبقى الشعب الجزائر يتخبط في ظلام الجهل .

جاء الفصل الثالث تحت عنوان " التنظيم الإداري " يحتوي على تسعة وثلاثون صفحة[2] عالجت فيه

1- ايفون تيران ، المرجع السابق ، ص_ص:113 – 155.

2- ايفون تيران ، المرجع السابق، ص- ص:163-182.

ايفون تيران ثلاثة عناوين أولها " التنافس بين وزارتي الحرب والتعليم "شرحت فيه الصراع الذي قام بين وزارتين الحرب والتعليم الجزائريين حول قضية تنظيم التعليم العمومي بمطالبة وزارة التعليم بإصلاح التعليم العربي و بمراقبة المدارس العربية الفرنسية لكن وزارة الحرب رفضت هذا التدخل.

من خلاله جاء العنوان الثاني " بالعادات المدرسية الفرنسية" عرضت فيه ايفون تيران الوضعية المتدهورة التي وصل إليها التعليم الإسلامي وأهم وجهات النظر التي اقترحت لتطويره وإعادة هيكلته لأنه لم يكن خاضع لرقابة السلطة حتى في العهد العثماني لذلك اعتبرته الحكومة الفرنسية خطرا يهدد مصالحها، بإضافة إلى تطبيق العديد من القوانين بمراقبة التعليم العربي الحر من قبل المكاتب العربية ، فرضت على كل طالب يمارس مهنة التعليم أن يحمل شهادة أو ترخيص.

قدمت لنا ايفون تيران في عنوان الثالث "المدرسة والسياسة "لمحة حول التقلبات المدرسية في ضل السياسة باستحواذ على التعليم العمومي وتسيره في اتجاه يخدم مصالح فرنسا الاستعمارية بتطبيق مرسوم 14 جولية 1850م تأسيس مدارس فرنسية علمانية. يستحدث مدارس العربية، ومرسوم 30 سبتمبر 1850م الذي انشأ مدارس عربية فرنسية الإسلامية.

أما الفصل الرابع جاء بعنوان من السياسة التعليم الإسلامي إلى رفض التمدرس (1880-1850م) يحتوي على أربعة وخمسون صفحة[1] ذكرت فيه المؤلفة عن صعوبة دراسة هذي الفترة بسبب اتساع الإقليمي والإداري لحكومة الفرنسية في الجزائر عالجت من خلاله العناوين التالية ، أولا " المكاتب العربية" تطرقت فيه لدور المكاتب العربية في مساندة الإدارة الفرنسية من خلال جمع المعلومات التي تحتاجها عن المجتمع الجزائري وتكليفها بمهمة مراقبة رؤساء الزوايا وتفتيش ومراقبة المدارس العربية ومنع ممارسة التعليم الغير المرخص.

أما في العنوان الثاني " التعليم العربي الابتدائي الحر" تكلمت ايفون تيران عن الدراسات والتحقيقات التي أجرتها الحكومة الفرنسية حول العقلية المحلية لتمهيد الطريق نحو الإخضاع المعنوي بنسيج العلاقات عن

1-ايفون تيران، المرجع السابق ، ص- ص : 201- 219.

طريق تحسين التعليم دون السعي لتحطيم العرف الإسلامي من خلال وضع الطلبة تحت الرقابة وإبعاد الأشخاص الغير المرغوب فيهم الذين يستخدمون التعليم لأغراض غير معترف بيها.

تبرز لنا المؤلفة الأوضاع الاجتماعية التي كان يعيش فيها المجتمع الجزائري وخاصة بعد سنة 1949م من الفقر البؤس وكيف لها أن يؤثر على ،ذكرت في سنة 1868م أنه تم اختزل نظام الزوايا حيث أصبحت المدارس مهجورة أكثر من أي وقت مضى بسبب القحط.

جاء الفصل الخامس بعنوان "من الثانويات والمدارس العربية الفرنسية إلى رفض التمدرس " يحتوي على ثلاثة وخمسون صفحة[1]، تقدم فيه المؤلفة لمحة عن التطور السياسي الذي صاحب انتشار الشكل الجديد للتعليم بعد مرسوم 14 جولية و30 سبتمبر 1950م عبر مرحلتين المرحلة الأولى: هي تجربة المراكز الحضارية الثلاثة التي يتواجد بها الأوروبيين بكثرة، والمرحلة الثانية: عن طريق توسيع هذا التعليم في القرى والمناطق التي يتواجد فيها العرب بكثرة.

من خلال العناصر التالية ستعرض لنا المؤلفة المشاكل التي واجهت هذي المدارس أولها بعنوان " المدارس العربية الفرنسية وتوظيف المعلمين "تطرقت للحديث فيه عن مشكلة نقص المستخدمين الأمر الذي دفع الحكومة العامة إلى توجيه الدعوات إلى فرنسا لاستقطاب المدرسين لكن دون جدوى، لهذا تم إنشاء دار للمعلمين في الجزائر العاصمة سنة 1865م لتكوين معلمين لكن حسب ما ذكرته المؤلفة لم يكن لهذه الدار تأثير بالغ .

من ناحية مناهج التعليم فقد ذكرت ايفون تيران أنها لم تتحسن في شيء إلى غاية سنة 1870م، لأن فكرة التكوين المهني كانت غائبة في تركيبة ثقافية العربية و ذلك حسب رأي الحكومة الفرنسية ، لهذا تم فتح مدارس خاصة للفنون والحرف في الجزائر العاصمة لشباب بهدف تكوين يد عاملة، أما بالنسبة لتعليم البنات أشارت المؤلفة أنه لم يكن هناك أي تعليم رسمي، كانت المبادرات قليلة مثل مبادرة السيدة لويس ألكس التي

1- ايفون تيران ، المرجع السابق ، ص- ص : 255 – 283.

اكتفت بتعليمهن الأعمال اليدوية لأن الحكومة الفرنسة اعتبرت مشروع تعليم الفتيات لا يزال مبكرا ومليء بالمخاطر، بإضافة إلى تقارير المكاتب العربية التي تتأسف لعدم صعوبة إيجاد من يكون مستعد لتلبية التعليم في الثانويات حوالي عام 1859 المقدمة من طرف المؤلفة دليل على فشل المنظومة التعليمة الفرنسية.

العنوان الثاني كان " من المدارس العربية الفرنسية إلى مشاكل البنيات والإقامات التوظيف " عالجت المؤلفة مشكلة نقص مركز التعليم فقد كان الإداريون يجهزون البنايات القديمة أو يكتفون باستئجارها، وتشير المؤلفة إلى أن هذه البنيات كانت غير مهيأة وتعيق العمل دون أن ننسى مشكل اللغة.

جاء الفصل السادس بعنوان " الطب من 1850 إلى 1880م " يحتوي على مئة وستة صفحة[1]، والذي تطرقت فيه المؤلفة للحديث عن الطب وتأثيراته السياسية ومساهمته في عملية الغزو الفكري للمجتمع الجزائري ورفض التلقيح في عنصران أولهما كان:

العنصر الأول: كان بعنوان " صعوبة الخدمة الطبية " تعرض من خلاله تاريخ الطب العلمي في الجزائر بعد السنوات الأولى من الاحتلال بتقديم دراسات عن الوضعية الصحية في البلاد و تحليل أدق أشكال المقاومة و مناقشة الطرق البيداغوجية الأكثر ملائمة فحسب ما ذكرته ايفون تيران كان الطب مقبولا بعض الشيء مقارنة بالرفض الذي تعرضت له المدرسة الأوربية ، لكن الوضعية الصحية لم تكن بحال جيدة بسبب نقص في الأدوية و الأموال و نقص في الإمكانيات و عدم استقرار في أواسط موظفين و عدم استقرار الفحوصات الطبية بالإضافة إلى نقص وسائل النقل بهذه الظروف تكون الممارسات الطبية أمرا مستحيلا، وقد تم التفكير في إعداد أطباء من المسلمين باستخدام المتخرجين من المدارس العربية – الفرنسية لكن المؤلفة أشارت إلى أن هذه المدارس كانت شبه فارغة.

تتطرق ايفون تيران في العنصر الثاني تحت عنوان " العلم والطب والسياسة" للحديث عن الاستخدام السياسي للطب توضح من خلاله موقف المجتمع الجزائري من المدرسة والطب، لم يكن بدافع القلق ولا حتى العداوة المطلقة فالأمر يتعلق بالاحتلال، صار الحضور الأوروبي بتفوقه يشكل خطرا ن

1- ايفون تيران ، المرجع السابق ، ص- ص :309 – 413.

اعتبرت المؤلفة هذه الاضطرابات عبارة عن حرب نفسية وصراع استولى على الحياة اليومية فحسب بل على العقول كذلك فقد أبرزت مظهرين للطب أحدها العلمي والأخر السياسي العسكري.

ذكرت ايفون تيران أنه تم استغلال عملية التلقيح من قبل إطارات مسلمة المحرضة لتحكم بزمام العقول في المجال السياسي، وتعرفهم بأنهم جميع العرب الذين يبرزهم الشارع على أنهم أولياء صالحون أو مرابطون وتصفهم الحكومة الفرنسية على أنهم أشخاص خطيرون يمثلون التفكير العدواني النشيط لهذا ترى مؤلفة أن المحركان الأساسيان لهذا الاضطراب أحدثها التوجيه السياسي و التوجيه الديني وحسب ما جاءت به المؤلفة من آراء و شهادات فإن سبب الرفض المجتمع الجزائري لعملية التلقيح كان إشاعات التي أطلقها أصحاب النية السيئة التي تختلف من مكان الى أخر .

وفي الأخير تتحدث المؤلفة عن المرأة الجزائرية و الطب الأجنبي فحسب ما جاءت به أن المجتمع الجزائري كان يعتمد بشكل كبير على الطب المحلي، اعتبره الفرنسيون مقبولا نوعا ما، كشف الأطباء الدور الذي لعبته النساء المسنات في المجال العقاقير التقليدية، تم اكتشاف ذلك عن الأخبار المتنقلة، فعند الحديث عن النساء تذكر المؤلفة انه لا يوجد الكثير من المعلومات والتقارير حولهن لأن النساء العربيات نادرا ما كانوا يذهبون الى المكاتب العربية.

مصادر الكتاب:

يقوم الباحث بجمع كافة المصادر الأصلية والمراجع التي تساعده في انجازي بحثه، لهذا فضلت ايفون تيران إجراء أبحاثها في الجزائر خلال القرن التاسع عشر بالاعتماد على المصادر الفرنسية لتحليل الأحداث التاريخية من خلال الشهادات والتقارير لبعض شخصيات التي عاصرت تلك الفترة الزمنية.

يعتمد توثيق المؤلفة بشكل أساسي على أرشيف المكاتب العربية ولاسيما في الجزائر العاصمة وقسنطينة، وهذه التقارير التي غالبا ما تكون شهرية وفصلية فهي غنية للغاية لأنها احتفظت بعناية[1]، ذكرت ايفون تيران أن هذه التقارير قد تراجعت بين سنتين 1870 إلى 1880م بسبب زوال الكلي لتأثر المكاتب العربية مع زيادة نفوذ المستوطنين الأوروبيين ومنه تذكر القول التالي: «فالوثائق المكاتب العربية سواء أكانت محفوظة في فال دوغراس (val-de- Grace) أو في فانسان (Vincennes) أو اكس اون بر وفانس

1-ايفون تيران، المرجع السابق، ص - ص:423 – 424.

(Aux-en-Provence) أو الأرشيف الوطني هي الأغنى وهي الأكمل على وجه الأخص، فلو كان الإداريون المدنيون يتحلون بالعناية نفسها التي كان يتحلى بها زملاؤهم العسكريون، لكان من شأن المادة المجموعة من قبل الدوائر و المحافظين أن تكون ذات فائدة مماثلة...[1]»

من أهم المصادر الأرشيف التي استخدمتها إيفون تيران نذكر منها "المحفوظات المحفوظة في الخدمة التاريخية لهيئة الأركان العامة للجيش" (Archive conservées au Service historique de l'état-major de l'armée Ch. De Vincennes: série H (Algérie). بالإضافة إلى محفوظات فال دوق راس "أرشيف الخدمة الصحية العسكرية من الصناديق الجزائرية والمغربية" (Archives du val-de-grâce (archives du service de santé militaire fond algérien et marocain).كذلك المحفوظات الوطنية لسلسلة أف ثمانون (Archives National Série F 80) الذي احتوى على كل تقارير الولاة وتقارير المكاتب العربية وتقارير ومراسلات سجناء العرب، تقارير الخدمة الطبية والإحصاءات الطبية للتطعيم تقارير المدارس والمصحات تقارير عن جماعة الإخوان المسلمين وتقارير عن مدارس الفنون والحرف وغيرها، بالإضافة إلى المحفوظات الخاصة (Archives Privés) المتمثل في محفوظات جمعية يسوع وأرشيف راهبات العقيدة المسيحية لنانسي.

بخصوص المصادر التي استخدمتها ايفون تيران في مجال التعليم نذكر من بينها كتاب كاستيل ر، باسيرون جي سي (Castel R, et Passero J.-C.) بعنوان "التعليم والتنمية والديمقراطية"(Education développement et démocratie) وكتاب تشارناي ج، وبييك جيه (Charny g, et Brique j) بعنوان "ازدواجية الثقافة العربية " l'ambivalence de la culture a (rabe)+ بالإضافة إلى كتاب دوماس (doumas) بعنوان:" آداب وعادات الجزائرية"(Mœurs coutumes de l'Algérie) و"الحوليات جزائرية (Annales algériens) لبليسيررينو (Pélissier de Reynau) وكتاب "قصص جزائرية 1884-1886م "(Récité Algérien) لبيرت (peuret)

1- ايفون تيران ،السابق، ص: 32.

ومقال بعنوان: " تعليم الأطفال"(sure l'éducation des enfants) كتب من طرف رزالي (R'azzall)

في المجلة الإفريقية بالإضافة الى مقال المؤلفة بعنوان: "المعلمين والاستعمار في الجزائر في القرن التاسع عشر من أجل التاريخ الفكري الاستعماري"(Institeurs et Colonisation en Algeria du xix de la Colonisation siècle: pour une histoire Intelectuelleb)الذي نشر في المجلة التاريخية.

أما عن المصادر التي استخدمتها في مجال الطب نذكر من بينها منشورات في كلية الآداب لجامعة ستراسبورغ سنة 1966 بعنوان: "الطب التقليدي في قسنطينة 1854م" (La médecin Traditionnelle dans la Constantine) كتب من طرف صلاح (Belgueldj me Salah) بالإضافة إلى كتاب بيرث راند (bertha rand) بعنوان "التاريخ الطبي والجراحي لبعثة القبائل الكبرى عام 1854م" (histoire médico-chirurgicale de l'expédition de Grande Kabylie en)١٨٥٤ وكتاب فوكو (Foucault) بعنوان "تاريخ الجنوب في العصر الكلاسيكي" (histoire de la foliée l'ageclassique) إضافة الر ورقة مقدمة في ندوة تاريخ شمال إفريقيا سنة 1968م لإيفون تيران بعنوان "الطب والاستعمار تجربة بوفاريك عام 1858م" (Médecin et colonisation de l’expérience Boufarik en 1835) نشرت في مجلة وقائع الكونغرس[1]

المبحث الثالث: الكتاب برؤيه نقدية.

عرفت الجزائر في المرحلة المدروسة تغيرات كثيرة منها خروج حكم العثماني بالغزو الفرنسي، وبتالي دخول مجتمع غريب يمتلك عادات وتقاليد ودين مختلفة، هذا ما أدى إلى تصادم بين هاتين الحضارتين في جميع مظاهر الحياة،

1-ايفون تيران ،المرجع السابق، ص – ص425 - 426.

1-محاور الكتاب الأساسية: سنتطرق لدراسة تطورات هذا الصراع من خلال كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من خلال العناصر التالية:

أ-التعليم: يتضمن الكتاب على الكثير من المعلومات المهمة والمتنوعة تتعلق بالتعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال والتي يمكن ذكرها فيما يلي:

ذكرت ايفون تيران من خلال استنتاج دوماس أن التعليم الابتدائي كان منتشرا في الجزائر بكثرة وإن جميع القبائل والأحياء الحضارية تمتلك معلم ومدرسة قبل الاحتلال ويقدر عدد الشباب الذين يزاولون التعليم في المدارس القرآنية من ألفين الى ثلاثة آلاف في كل مقاطعة[1] وهذا ما أكده العديد من الباحثين من بينهم أبو العيد دودو الذي يذكر أن المدارس الجزائرية كانت تفوق مدارس الفرنسيين وأن الأميه كانت أكثر رواجا في فرنسا منها في الجزائر[2] إضافة إلى الباحث حميد آية حبوش الذي يذهب رأيه الى أن التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني كان منتشرا انتشارا واسعا حتى غطى كل المناطق بما في ذلك القرى المداشير.[3]

أشارت المؤلفة الى أن: «الحكومة التركية لم تطلع باي مسؤولية تعليمية»[4] وهذا ما أكده الباحث عدنان المهدي: «صحيح ان التعليم لم تكن له إدارة تنظيمية وانه تم ترك القطاع مفتوح للأفراد والجماعات يقيمون ما يشاؤون من مؤسسات تعليمية، اشتراك العائلات في المدن والقرى على اقامة المدارس لأبنائهم وتكليف المعلمين بتعليمهم مع توفير كل وسائل عيشهم»[5] تدعم هذا الوصف الباحثة بخوش صبيحة تذكر في مقال لها أن: «عمر الأتراك بالجزائر أكثر من ثلاثة قرون أقاموا خلالها الكثير من التنظيمات الخاصة السياسية والمالية والعسكرية... إلا أنهم لم يلتفتوا الى التعليم أي أنهم لم يكن لهم أي دخل او إشراف عليه فلم تكن توجد مؤسسة حكومية خاصة بالتعليم كما نعرف اليوم بوزارة او مؤسسة حكومية»[6].

1- إيفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 135،94.

2- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، الشركة الوطنية، الجزائر، 1975م، ص: 94.

3 - حميد أيت حبوش، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، دورية كان التاريخية، 2018م، ص: 26.

4 -إيفون تيران، المرجع السابق، ص: 127.

5 -عدنان المهدي، التعليم في الجزائر أصول وتحديات، دار المثقف، (ط1)، 1439-2017، ص: 135.

6 -صبحة بخوش، وضعية التعليم في الجزائر في العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، م1، ع2، ص: 135.

فيما يخص تعليم الأساسي ومحتواه وطرائقه قدمت لنا ايفون تيران نقلا عن جانيتي دوبيسي الذي كان يرى أن المدارس الأساسية الموجودة في الجزائر العاصمة نفسها لم تكن لها فائدة يذكر:« أن الأطفال لا يقرأون ولا يكتبون سوى الآيات القرآنية...»، يوضح أن سبب هو جهل المعلم الذي يجعل تلاميذ عاجزين ليس هناك لا تأليف ولا إنتاج فكري ولا بحث ولا اكتشاف ولا شغف بالمعرفة ولا حتى إعمال للعقل...»، بالإضافة إلى أن المناهج التي كانت تدرس ترى فيها المؤلفة أنها « متحجرة تأخذ مكان الفكر ألغت روح الثورية للتعليم...» مع اندثار التعليم العالي في الإيالة[1].

يمكن أن نُقِرَ مع المؤرخ أبو قاسم سعد الله على أن أساس التعليم هو الدين فحفظ القرآن الكريم كان عمدة التعليم الابتدائي ومعرفة بعض علوم القرآن كان عمدة التعليم الثانوي وأن الجزائر العثمانية لم يكن لها جامعة إسلامية كالأزهر والقيروان والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي بل تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق وغيرها لتتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي [2]، إلا أن الباحثة ذهبية بوشيبة تذكر أن معظم الدراسات الأجنبية للإيالة الجزائرية كانت تفتقر إلى مظاهر التحضر والتمدن عدم اهتمام بالعلوم العقلية والإنتاج العلمي مقارنة بالعلوم النقلية التي انتشرت بكثرة [3] وهذا ما عبرت عنه الباحثة زهية دباب على أن التعليم كان فقيرًا من حيث الإنتاج الثقافي والعلمي على حد السواء[4].

عرضت المؤلفة من خلال الكتاب وضعية التعليم العربي بعد الغزو الفرنسي والتطورات السياسية التي رافقته وخاصة الدمار الذي لحقه بعد الحملة العسكرية وذلك من خلال ما نقلته عن جوليان: «. وأننا أغرقنا في انشغالات الحرب وفي حاجات مصالح صعبة المنال بالنسبة لنا فقد أهملنا التعليم العمومي ولأن إدارة عائدات المساجد سلمت للمتآمرين الجشعين حولوا جزءا أكبر من أموال إلى حساباتهم» [5]وهذا ما تم

1 -إيفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 51، 134.

2 – أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص: 286.

3 – بوشيبة ذهبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، ع3 -4، ص، ص: 118،123.

4 – زهية دباب، وردة برويس، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيوتاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، م21، ع1، 2021، ص: 186.

5 – إيفون تيران، المرجع السابق، ص: 123.

تأكيده في مختلف الكتابات من بينها ما قدمها لنا الباحثان عماد عبد العزيز وأيمن غانم بأن الحكومة الفرنسية أخذت على عاتقها الاستيلاء على موارد التعليم منذ دخولها مع بداية حكم كلوزيل الذي أحصى الملكيات و أصدر قرار في السابع من أيلول سنه 1830م القاضي بمصادرة أملاك الأوقاف و لإضفاء الشرعية القانونية جاءت عدة قوانين تدعمه[1] وخاصة بعد أن أدركوا أنها وسيلة يكسبون بها ثروة طائلة في أسرع وقت[2] و يعلق مصطفى خياطي في هذا الصدد:« إن هذا الأمر بمثابة إعدام على المدارس والكتاتيب والزوايا»[3].

كانت أوضاع المجتمع الجزائري متدهورة وكانت حالة التعليم مزرية إذ اختفت مدارس الطور الثاني والتعليم العالي بصفة نهائية تقريبا من الجزائر وكان على الشباب الراغبين في اكتساب المعارف الدراسية أن ينتقلوا إلى طلبها في تونس وطرابلس وتطوان وحتى مصر ومع غياب التعليم العربي واجهت الإدارة الفرنسية صعوبة في توظيف القضاة والخوجات وأصبح سير القضاء الإسلامي صعبا وهذا واضح من خلال شكوى التي قدمها رئيس مكتب مستغانم« لأننا دمرنا المدارس وكلما كان قضاتنا القدامى يموتون كان إستخلافهم يزداد صعوبة وكانت الأحوال تزداد سواء يوما بعد يوم»، يضيف لباسي إلى هذا: «التدهور يهدد بأن يغرق كل سكان الأهالي في الجهل والتعصب» هذه هي أبرز النتائج السلبية التي قدمتها لنا المؤلفة بسبب تراجع التعليم الإسلامي[4].

معظم المصادر التاريخية تؤكد لنا هذه النتائج، يرى محمد صالح صديق على أن الاحتلال قد قضى على المدارس الجزائرية التي كانت مزدهرة في انحاء القطر الجزائري[5] ويضيف عبد القادر حلوش أن المدرسون قد ضعف عددهم وتشتت شملهم وفي سنة 1844 م وصلت وضعية التعليم في الجزائر إلى أسوء حال حتى

1 – أيمن غانم محمد، نظرة تاريخية في أوضاع التعليم في الجزائر خلال العهدين العثماني وحتى قيام الحرب العالمية الأولى (1518-1914) المدارس أنموذجا، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م44، ع1، 2023، ص: 587.

2 –-عثمان بن حمدان خوجة، المرآة، تر: محمد العربي الزبيري، سلسلة التراث، الجزائر، ص:43.

3 – مصطفى خياطي، حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، منشورات ANEB، ص: 138.

4 –إيفون تيران، المرجع السابق، ص: 137.

5 – محمد صالح الصديق، كيف ننسى جرائمهم؟، دار هومة، الجزائر، 2009، ص: 75.

أصبح بعض الناس الذين يرغبون في التعليم ينتقلون إلى خارج البلاد[1]، ويضيف أبو قاسم سعد الله أن الأوضاع في تلك الفترة كانت أشبه بجو من الإرهاب كان سبب في توقف الدروس والتعليم وإغراق المجتمع الجزائري في الجهل[2].

وضحت المؤلفة أن الحكومة الفرنسية لم تكن تهتم بالتعليم في الجزائر في السنوات الأولى من الاحتلال، وركزت على قضية تعليم اللغة العربية للفرنسين والأوروبيين وتعليم اللغة الفرنسية للعرب [3]وهذا ما عبر عنه الباحث كميل رسلير على أنه أشبه بعملية اختراق للبلد لتكوين مترجمين من الأهالي والفرنسيين[4]، أما أبو قاسم سعد الله ذكر أن فرنسا كانت بأشد الحاجة إلى نشر اللغة العربية بين الضباط والموظفين[5].

تحدثت لمؤلفة عن الحكومة الفرنسية بعد إدراكها ضرورة استرجاع التعليم العربي الحر لأن غياب السياسة التعليمية كان لها آثار سلبية لذلك وجب تهذيب أخلاق المجتمع الجزائري عن طريق التعليم يذكر مارسي لاكومب: «إن الجيل الذي ينشأ اليوم على أعيننا لا يجب قطع أن يتلقى منذ الطفولة دروسا في الكراهية تؤتي ثمارا خبيثة... وسط هذا الشباب الذي في مصلحتنا أكثر أن نكسبه في صفوفنا»، عن طريق فرض الرقابة المستمرة على المدارس الابتدائية وتفتيشها بالإضافة إلى إدخال المناهج والعناصر الأجنبية على الوسط التقليدي.

عند حديثنا عن التعليم العربي الفرنسي نجد أن المؤلفة وصفته على أنه «يشكل تنظيما موازيا فعلي يستهدف القيام مقام التعليم العربي الحر تدريجيا ولكنه يقتصر في حال على بعض المدن، يجمع المعلمين الفرنسيين والعرب واللغتين الفرنسية والعربية والمناهج التقليدية والتقنية الحديثة والهدف من هذا هو الرقي نحو مناهج تعليم نافعة» وهذا فإن المؤلفة ترى في هذا التعليم وسيلة للتقريب بين الجزائريين والاوروبيين حتى يتم

1- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة،2010، ص: 45.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص: 30.

3 - إيفون تيران، المرجع السابق، ص _ص: 44_45.

4 -كميل ريسلير، السياسة الثقافية بالجزائر أهدافها وحدودها(1880_1962م)، تر: نذير طيار، (ط1)، كتاب جديد نشر الالكتروني، 2016م، ص: 97.

5 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في التاريخ الجزائر، ج 4، (ط1)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص: 25.

خلق جيل جديد يسهل إدماجه.[1] هكذا نجد الباحث الشريف بن حبيلس يتفق رأيه مع المؤلفة ايفون على أنه من واجب فرنسا غزو العقول أخلاقيا ومعنويا للتقريب بين الناس وتربية شعب غاص في مجاهيل الجهالة لقرون[2].

حسب ما نقلته لنا المؤلفة فإن هدف الحكومة الفرنسية من تشكيل هذه المنظومة التعليمية هي إنشاء طبقة من المواطنين يساعدونها في تسيير البلاد والتأثير على من هم من بني جلدتهم لتغييرهم وفق الحضارة الفرنسية أي أن النية الحقيقية لهذا الإجراء إن صح التعبير صنع فئة تلعب دور الوسيط أضحى غيابها يشكل عامل إزعاج للإدارة الفرنسية[3] وهذا ما يرى فيه عدنان المهدي أنه مزق المجتمع الجزائري بين محافظين مدافعين عن الهوية الإسلامية وبين من تلقوا تعليما فرنسيا يدافعون عنه[4]، أما محمد الطاهر وعلي فيشرح أن هذه النخبة من المجتمع يتم استغلالها من قبل الحكومة الفرنسية لخدمة مصالحها الاستعمارية[5].

من خلال مرسوم 14 جولية و30 سبتمبر 1830م، شرحت إيفون تيران أنه تم فتح مدارس حكومية و تم إنشاء مدارس عليا عرفت بالمدارس الشرعية من أجل إقامة رابطة مع نخبة قليلة تتخذاها وسيلة تنافس الزوايا خاصة الموجودة خارج البلاد والحط من قيمتها وتخفيف من تأثير الزوايا المعادية لها، وهذا ما يرى فيه الباحث فريد بشيش سعيدي أنها سياسة إدماجية هدفت إلى جعل الجزائريين يتقبلون الحضارة الأوربية وتحولهم إلى رعايا يندمجون في الحضارة الفرنسية على حساب الهوية الوطنية[6].

وضحت إيفون تيران أن التعليم الفرنسي لم ينجح وذلك لرفض المجتمع الجزائري بالإضافة إلى أنها فسرت قضية الرفض إلى العديد من الأسباب والعوامل نذكر أهمها هو: «اصطدامها بالقوة الكبيرة التي يمارسها

1 -ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 119، 126، 176، 177، 197.

2 – شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما لم يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار المسك، ص: 45.

3 -ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: ،71،70،80.

4 – عدنان المهدي، المرجع السابق، ص: 26.

5– محمد طاهر وعلي، التعليم والتبشير في الجزائر 1830 الى 1900م دراسة تاريخية تحليلية، دار حلب، الجزائر 2009م، ص: 75.

1–فريد بشيش سعيدي، البرامج التعليمية الاستعمارية الفرنسية ودورها في سلب هوية الطفل الجزائري مجلة كلية التربية جامعة الأزهر، ج1، 2018، ص: 208.

الشعب المسلم ما يشبه الكهنوت والمؤلف من المرابطين والطلبة» أي الزوايا معارضة ، بالإضافة إلى اختلاف مفهوم العلم في كل من الحضارتين: «ليس هناك عربي واحد يرى للتعليم غاية واحدة مفيدة... بل هو معرفة كلام الله فالمجتمع العربي جامد لا يهتم بالتعليم»[1].

يفسر عبد القادر حلوش سبب فشل المدارس العربية الفرنسية في العامل الوطني المتمثل في رفض المناهج التي كانت تدرس لأنها كانت تهدف إلى إدماج المجتمع الجزائري وربط مصيره بالأمة الفرنسية بعد سلخهم من أمتهم العربية الإسلامية وليس رفض العلم بمجمله لأن مطالب الجزائريين الأساسية تركزت على مسألتين هما اللغة العربية والدين الإسلامي[2].

كان هناك تيار معارض لتعليم الأهالي وخاصة من قبل المعمرين الأكثر تشددا تذكر ايفون تيران: «في هذه الفترة أيضا ظهرت انتقادات المعمرين تجاه إنشاء المدارس كانوا يرونها غير مفيدة خاصة إذا سجلت هناك منافسة لهم في الميزانية»[3]، يشير عبد القادر حلوش إلى أن هذا الرفض قد تم التعبير عنه في الكثير من المناسبات مع تقديم حجج متعددة منها مالية، سياسية، عنصرية وغيرها بالمقابل إشتدت مطالب الكولون وإلحاحهم لفرض التعليم التطبيقي والفلاحي حسب ما يخدم مصالحهم المادية[4].

ب–الممارسات الطبية والدينية: لقد عرفت الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر خلال الفترة التي تلت الاستعمار تطورات كثيرة يمكن أن نعرضها في النقاط التالية من خلال كتاب المواجهات الثقافية.

درست إيفون تيران الأوضاع الصحية في الجزائر مع تحليل تطورات الطب الأوروبي و أول ما قدمته لنا من هذه الأوضاع هي النظرة السلبية اتجاه الممارسات الطبية العربية من طرف الأطباء الفرنسيين، حيث اعتبرتها المؤلفة غير ذي فائدة «بالنسبة للعرب ليس الطب بالمرة ذلك العلم القائم على دراسة خصائص الجسم ومعرفة القوانين التي تسير المادة المنظمة سوآءا في الحالة الصحية أم في الحالة المرضية إن في جوهره

1 –إيفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: ،129،128،138.

2 –عبد القادر حلوش، الكولون الفرنسيون والتعليم الفلاحي في الجزائر، مجلة العصور، م1، ع2، ص، ص: 52،54.

3– ايفون تيران، المرجع السابق، ص: 203.

4– عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص_ ص:55_56.

الكثير من الخوارق مرتبطة بالخرافات الشعبية» وتدَعِم رأيها بتقديم ما ذكره لاكروتس: «إن فن الشفاء مجهول تقريبا في أواسط هؤلاء السكان إن الأدوية الخرافية التي تضل سرا في أيدي المرابط والمشعوذين الذين تعلموها عن طريق التقاليد العائلية تشكل العلم الطبي الوحيد لديهم» [1].

وردت العديد من الملاحظات في مصادر مختلفة حول وضعية الطب الجزائري في الفترة العثمانية وبداية الاستعمار، كانت أغلب الشهادات الأوروبيين الذين زاروا الجزائر تتفق مع ما قدمته المؤلفة نذكر على سبيل المثال ما جاءت به الباحثة عائشة غطاس نقلا عن الطبيب الإنجليزي شاو الذي ذكر أن البلاد كانت تتوفر على قليل من الأطباء إلا أنهم في نظره غير ذي فائدة وتضيف أن الكتب العلمية التي كان يعتمد عليها هؤلاء الأطباء لا تتجاوز كتاب "ديسكو ديس" و "كشف الرموز" لعبد الرزاق الجزائري المعروف بابن حماد وش وغيرها من الكتب المماثلة [2].

نجد في مذكرات طبيب سيمون فايفر التي كتبها في فترة أسره في الجزائر أثناء حديثه مع الجنرال دام ريمون يوم زيارته للمستشفى في جولية 1830م « قلت له بأنني ألماني وأنا الطبيب الوحيد في المستشفى» وهذا إن دل إنما يدل على ندرة الأطباء سواء من الأجانب أو من العرب[3].

في حين أن الباحثة فوزية لزغم تذكر بهذا الصدد نقلا عن الطبيب شونبيرغ الذي يفند الباحثين الأوربيين الذين نفوا تواجد أطباء في الجزائر بقوله: "يدعي الأوربيين عادة أن الأطباء الجزائريين لا يوجدون بالجزائر وهذا إدعاء خاطئ كل الخطأ...» [4]وهذا ما ذهب إليه الباحث بن دهامة على أن الممارسات الطبية كانت موجودة فقد كان لدى الأمير عبد القادر مؤسسة حقيقية رغم أنهم لم يتخرجوا من المدارس

1 -ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 96 ،91.

2-عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع76، 1403هـ-1983م، ص، ص: 122، 128.

3- سيمون فايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر: ابو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 108

4- فوزية لزغم، الطب والأطباء بمدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال كتاب الطب الشعبي الجزائري في بداية الإحتلال لألبير فون شونبيرغ، مجلة المعارف والدراسات التاريخية، ع21، 2019، ص: 112.

الكبيرة لكنهم يتمتعون بالتجربة والخبرة [1]، ومهما تضاربت الآراء حول هذا الموضوع فإن الذي لا جدال فيه هو أن الحكم العثماني قد أهمل الرعاية الصحية الخاصة بالمجتمع الجزائري فلم تنشأ مؤسسة صحية[2].

تنتقل ايفون للحديث عن الأوضاع الصحية في الجزائر بعد الغزو الفرنسي من خلال ما قدمته بواسطة التقارير الإدارية التي توضح أن في سنة 1851م كانت الوضعية الصحية كارثية، تم التوصل إلى انتشار الأمراض التالية: الحمى، الجذري، الكوليرا، التيفوس، الزهري، أمراض العيون والجرب وهي الأمراض الأكثر انتشارا وتتسبب بهلاك كبير خاصة مرض الكوليرا ووباء الجدري اللذان انتشرا بموجات شملت البلاد بأكملها حتى باتت تثير الرعب وتسبب خسائر أكبر، كان المرضى والأطباء الأوربيين غير قادرين على تفسير الكارثة وعدم معرفة طريقة العلاج في السنوات الأولى من 1849 إلى 1851م، باختصار فإن المجتمع الجزائري كان يعيش في بؤس وما زدا الطين بلة هو تدهور الأوضاع الصحية والاجتماعية بسبب الغزو[3].

تداول الكثير من الباحثين الحديث عن هذه الأوضاع المتدهورة من بينهم مصطفى خياطي الذي ذكر أن الجزائريين كانوا بشكل عام ذوي صحة جيدة وأقل عرضة للأمراض وذلك راجع لكثرة نظافتهم، لكن مع بداية الاحتلال أهملت النظافة العامة في الجزائر والسبب الرئيسي هو الجيش الفرنسي مما أدى إلى انتشار العديد من الأوبئة والأمراض لم تكن معروفة في البلاد، بالإضافة إلى الجرائم والمجازر التي ارتكبها الغزاة مما ساهمت في تردي الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية [4]، وفي الدراسة التي جاء بها الباحث رضوان شافو أكيد على أن عشية الاحتلال الفرنسي انتشرت العديد من الأمراض والأوبئة وذلك للانعكاسات السلبية للسياسة الاستعمارية و الاجتماعية و لاقتصادية[5].

1- بن داهة علي، المرجع السابق، ص: 97.

2-عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 127.

3- إيفون تيران، المرجع السابق، ص-ص: 317_319.

4- مصطفى خياطي الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP، ص، ص: 31 ،36.

5- رضوان شافو، الطب الاستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر (1830-1960)، مجلة الحوار المتوسطي، ج 13، 2022م، ص: 455.

من خلال الظروف المتدهورة سعت السلطات الفرنسية إلى تطوير المنظومة الصحية بالجزائر المستعمرة لتفادي انتشار الأمراض والأوبئة من جهة ومن جهة اخرى إنشاء مؤسسات تقدم الخدمة الطبية بهدف محافظة على استقرار سكان الأهالي بوسائل أخرى غير قوة السلاح وتركهم يتعلقون بمنافع ومزايا الحضارة الغربية باعتباره عامل تحضير وتمدين يستدعي الاهتمام من جانب ومن جانب آخر يشكل مؤسسة سياسية بإمكانها استقطاب الغرب والمساهمة في توسيع نفوذ الفرنسين وهذه هي الصورة التي رسمتها إيفون تيران للطب[1].

اعتبرت ايفون تيران أن الحكومة الفرنسية مكلفة بمهنة نبيلة، والتي تتمثل في السهر على منافع الإنسانية لذلك تم إنشاء المصحة المتنقلة بهدف أن تكون مركزا للتمريض خاص بالعرب عن طريق تشكيل خيمة للرجال وآخري للنساء والأطفال وجاء هذا بعد المبادرة الأولى سنة 1849م، إلا أن الملاحظات التي قدمتها المؤلفة تفيد بأن المصحة المتنقلة تم استغلالها لأغراض سياسية وهذا ما وضحه فرنسوا لاكروتس على أن: «المصحة المتنقلة تسمح بإضعاف نفوذ المرابطين الذين شكلوا لزمن طويل حجر عثر في وجه محاولة التمدن أهل هذه البلاد وإدخال الحضارة إليها»، لكن المؤلفة تبرز رأيها على أنه حتى وإن اكتسى العمل الطبي الصبغة السياسية فإنه يضل مع ذلك أكثر مجانية و ذا طبيعة إنسانية، لأن الطبيب يستقبل المريض العربي سوآءا في المستشفى العسكري أو في الملاجئ أو المصحات المنتقلة أو قاعة المكاتب العربية فهو يقدم الخدمة الطبية في كل حال من الأحوال. [2]

هناك الكثير من الباحثين الذين يختلف رأيهم عن رأي المؤلفة حول مهمة الطب الفرنسي في الجزائر حيث تشير الباحثة صليحة علامة أنه لم يسمح للجزائريين بالمعالجة لدى الأطباء الفرنسيين ومنعهم من دخول المستشفيات إلا بعد أن تم إنشاء المكاتب العربية سنة 1844م و رغم الثورة العلمية التي قام بها الفرنسيون في مجال الطب والعلاج، لكن لم يستفد منها أبناء البلد نتيجة انتهاج الحكومة الفرنسية لسياسة التمييز العنصري و استعمال الطب لأغراض استعمارية أفقدتها هدفها الأساسي[3]، أما الباحث محمد زاهي

1-ايفون تيران ، المرجع السابق ،ص ،ص : 89 ،85، 94 .

2- ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 312، 334، 91، 149، 123.

3-صليحة علامة، الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (أداة للهيمنة والنقل للتنصير)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع18، ص، ص: 142، 151.

يذهب رأيه إلى أن إدارة الاحتلال الفرنسي منذ أربعينيات القرن التاسع عشر ميلادي استعملت الطب لاستمالة جزء من الجزائريين وكذلك لإنجاح مشروعها الاستيطاني لذلك استطاعت أن تكون أطباء يتبعون هذا النهج[1] اما عثمان رقب أكد أن السياسة الطبية الموجودة أساسا تجاه المجتمع الجزائري لم تكن لتخلصهم من آلامهم بل أكثر من ذلك أنها كانت سبب في انتشار الأمراض التي لم تكن معرفة في الجزائر والتي جلبتها معها[2]

تشرح ايفون تيران تعددت طرق العلاج التي استخدمها الأطباء الفرنسين نذكر من بينها ما يسمى الطب الدعاية الذي من خلاله يتنقل الطبيب إلى مكان المريض ويتدخل في احتكاك معه قبل أن يقدم له طريقة العلاج إضافة إلى الرهيبات اللواتي تقدمن يد المساعدة في عملية الكشف الطبي بلعبي دور الوساطة بعد تمكنهن من إقامة علاقات طبية مع النساء الجزائريات إلى درجة تخطيهن عتبات المنازل العربية، بالإضافة إلى أن المريض كان يذهب إلى الفحص الطبي أثناء أيام التسوق لكنه لا يعود في الأيام التالية وبعد السنوات التي تلت1850م تشير التقارير إلى تعودهم و تقبلهم نصائح الطبيب الفرنسي.[3]

تذكر صليحة علامة أن الحكومة الفرنسية كلفت الأطباء العسكريون بمهمة فحص و تقديم العلاج ونشر عمليات التلقيح وسط القبائل وهم مطالبون إلى جانب ذلك معرفة أسرار وعادات والتقاليد الجزائريين بهدف تحديد نقاط ضعفهم لتتمكن من بسط هيمنتها[4].

ورد في كتاب المواجهات الثقافية الإشارة إلى أن سيرورة تطور الطب الأوروبي في الجزائر واجه العديد من الصعوبات لهذا حاولت الحكومة الفرنسية إنجاح مشروعها بكل الطرق والوسائل ومن بين صعوبات التي تطرقت لها المؤلفة هي قلة المشاريع والمنشآت التي تتصف بالضيق وتتضمن العديد من النقائص، بالإضافة

1- محمد رامي، دور الاستعماري الفرنسي في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال القرن 19، مجلة العصور، م10، ع4، 2022، ص: 13.

2-. عثمان رقب، الطبيب في أواسط الاستعمار في الجزائر خلال القرن 19م بين المهام الإنسانية والدعاية، مجلة تاريخية، م3، ع3، 2021، ص: 131.

3- ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص : 151، 102، 332.

4-صليحة علامة، المرجع السابق، ص: 142.

إلى نقص الأطباء باعتبارهم عسكريين غير مستقرين يتنقلون مع جيوشهم وهو ما يجبر المستشفى أو المصحة المتنقلة على تغير الطبيب مرتين أو ثلاثة مرات في السنة ناهيك عن الصعوبات المالية[1].

أما من ناحية ردود الفعل المجتمع الجزائري إزاء الطب الأوروبي فقد وضحت المؤلفة أن: «الانطباع العام للسلوك الشائع لدى الجماهير المسلمة هو رفضها للعلاج والارتياب إزاء الأدوية والتقنيات الجراحية بصورة خاصة و الطبيب الأوروبي، وهذه الذهنية تتفاقم خاصة في زمن الأوبئة كالكوليرا على رغم من ارتفاع الوفيات في السنوات الأولى من الاحتلال إلا أنه لم يتوجه إلا القليل لطلب العلاج ».

تفسر المؤلفة هذا الأمر على أن:« العرب لا يعتنون بالصحة إلا بكثير من اللامبالاة فمعالجة الإصابات الأكثر خطورة و الأكثر تأصلا لا تبدوا لهم سوى أمر ثانوي جدا» وتأكد هذا من خلال ملاحظات الدكتور بير تراند أن: «الطب الفرنسي لن ينجح مادام الوسط الذي يتوجه إليه لم يشعر بالحاجة للعافية الجسدية » هذه المشاكل تؤثر على سيرورة تطور الطب العقلاني و العلمي أمام هذه العقلية لأن الطبيب في صراع دائم مع الوسط المحيط به، واجه أفكار معارضة ذات طابع ديني، خاصة الدعاية التي نشرة ضد عملية التلقيح على أنها علامة تميز الأطفال بهدف استغلالهم في العبودية و الخدمة العسكرية [2].

أكدت الباحثة صليحة علامة أن الاتصال بين أطباء الفرنسيين والمجتمع الجزائري كان أمرا صعبا بحكم اللغة وعدم الثقة الموجودة بين الطرفين خاصة الجزائري وهذا بعد ارتباط العلاج الفرنسي بالإدارة الاستعمارية والكنيسة الكاثوليكية[3]، أما الدكتور أبو العمران الشيخ في دراسته لمقاومة الزوايا لسياسية الاستعمار من خلال كتاب المواجهات الثقافية فهو يذكر أن المستعمر أراد إثبات تفوقه في المجال العلمي فركز جهوده على نشر الطب مستهدفا كسب الرأي العام تلك هي الخطة التي فشل فيها في المجال الثقافي والعلمي[4]

يذكر مصطفى خياطي أن الأهالي الجزائريون كانوا يعتقدون بأن العلامة التي يتركها التلقيح على الأطفال تسهل التعرف عليهم في وقت لاحق ليجندوا في الحيش الفرنسي، ففضل الجزائيين رمي أبنائهم في

1- ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 84، 87.

2- ايفون تيران، المرجع السابق، ص، ص: 149، 151، 153، 86، 361،

3-صليحة علامة، المرجع السابق، ص- ص: 144_146.

4- أبو عمران الشيخ، مقاومة الزوايا لسياسة الاستعمار في بداية الاحتلال من خلال كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من (1830-1880)، مجلة الدراسات الإسلامية، م7، ع 14، 2008، ص: 37.

البحر على أن يحملون علامة تسمح بالتعرف عليهم ذات يوم مستندا في رأيه على شهادة الدكتور عويون الذي صرح قائلا: «لطالما واجه التلقيح في عهد الاحتلال الفرنسي صعوبة كبيرة في هذا البلد» [1].

أما في المجال الديني أبرزة ايفون تيران من خلال كتاب المواجهات الثقافية النظرة السائدة من طرف الأوربيين إزاء الدين الإسلامي ورجاله على أنهم مجرد محرفين يكنون العداء للمسيحين وتشكل خيوط نشاطهم بؤرة المؤامرات، على حد تعبير الجنرال بيدو هي ملجأ للمتمسكين بالعقيدة ودعات المتعصبين أما بلاجيني فيرى أنها المراكز التي تنطلق منها جميع الأخبار السيئة التي تقوم بتنسيق المقاومة، ومن خلال توضيحات فيالا شارون في 29ماي 1945م التي ذكر فيها: «بالدراسة المتأنية للأسباب التي أدت إلى انتفاضات المتعددة التي كان علينا أن نحارها، نجد أن السبب الرئيسي هو التعصب الديني الذي من السهل استثارته في شعب جاهل كالشعب العربي مستعد لاحتضان كل ما من شأنه أن يناهض سيطرتنا عن طريق الحقد الذي يغذيه عند المسحيين[2]» .

الصورة حسنة والنية الجيدة التي جسدتها ايفون تيران للحكومة الفرنسية على أنها تسعى إلى تحرير الفكر وتطويره لهدف تقريب بين الأجناس وخلق قواسم مشتركة بين العقول، فكل ملاحظات والآراء الفرنسين تشير إلى أن الدين هو الذي لف العقل بتعصب الفكري لذلك وجب على الحكومة الفرنسية لدفع المسلمين لهتكه، يذكر حاكم المدية العسكري سنة 1973م أن: «زوايا والمدارس تثبت فيهم العقائدي المضادة لتمدن» أي الحكومة أعلنت الحرب على المدارس العربية والمؤسسات الدنية[3].

أغلب الباحثين الذين اهتموا بدراسة سياسة الدنية الفرنسية في الجزائر يذهب رأيهم خلافة رأي المؤلفة التي ترى في فرنسا مثالا لتحضر، نذكر من بينهم شهادة عثمان بن حمدان خوجة بقوله: «إن وقوع مثل هذا العدد من الأحداث الجائرة عليا أن أعترف بها ليسجلها التاريخ وليبين لأجيال القادمة كيفة كانت

1- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، المرجع السابق، ص:87.

2- ايفون تيران، المرجع السابق، ص_ ص: 144-146.

3- ايفون تيران، المرجع السابق، ص_ ص: 300-302.

تفهم الحضارة في القرن التاسع عشر، إننا نظلم في الجزائر وإذا أردنا أن نرفع أصواتنا ضد هذا النظام التعسفي فإننا ننفى...» [1].

وضح الدكتور أبو عمران الشيخ أن الزوايا لعبت دورا كبيرا في مقاومة الاستعمار الفرنسي فكانت تشجع الثورات، ومن المشهور أن زعماء الدين قادوا هذه الثورات وكانوا ينتمون إلى الزوايا منهم الأمير عبد القادر وأولاد سيد الشيخ[2]، وهذا ما يوضحه محمد بن أمير عبد القادر على أن مقاومة الأمير كانت جهدا في سبيل الله ضد المسيحين وأنه من واجب على المسلم أن يدافع عن أرضه ووطنه ودينه ولا يمكن أن تطلق عليها اسم التعصب الديني [3]، وهذا ما شرحه الباحث ليون فيكس على أن مقاومة الغزو الفرنسي أول عنصر حاسم من عناصر الوعي الوطني والنضال الذي خاضه الأمير عبد القادر خلال أربعة عشر عاما يشكل حركة وعي [4]، يبرهن المؤرخ أبو قاسم سعد الله أن النصوص العديدة التي كتبها الفرنسيون وهم يستعدون للحملة تعكس روح الصليبية، احتلوا مدينة الجزائر فكانت تصرفاتهم العامة توحي وتعبر عن تعصبهم الديني.[5]

من خلال حديث إيفون تيران عن الراهبات تذكر أنهن قمن بمبادرات، حيث أسندت المهمة الاستشفائية «في مقاطعة قسنطينة إلى الأخوات من المذهب المسيحي المنحدرات من منطقة نانسي... أما وهران فأسندت المهمة فيها لأصحاب مذهب الثالوث... وهذا تلبية لدعوة المونسنيور دوبوش للخدمة في المستشفيات والعناية بالمدارس، ولا نكاد نعثر في مراسلاتهن إلا على نزر قليل من نية تحقيق أهداف التبشير، تواصل حديثها على أن هؤلاء الراهبات قد استطعن دخول المنازل العربية ولهن الفضل الأكبر في

1- عثمان بن حمدان خوجة، المرجع السابق، ص: 219.

2-أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص: 57.

3-محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزوزي وشاويش، الإسكندرية، ص: 85.

4- كميل رسلير، الصدر السابق، ص: 29.

5-أبو قاسم سعد الله، حركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص: 232.

انفتاح عالم جديد يتمثل في العالم النسوي المحلي وهكذا نجد أن المؤلفة لم تكن ترى في الحكومة الفرنسي غاية لنشر المسيحية في أواسط المجتمع الجزائري[1].

تداولت مصادر أخرى هذا الموضوع لكن برؤية نقدي على سبيل المثال الصورة التي قدمها الباحث عبد القادر بوتشيشة حول الأوضاع المتدهورة للمسلمين كان يرى فيها الكردينال لا فيجري فرصة: «فتحت أمام المنصرين أفاق جديدة »[2]، ولتوضيح الفكرة أكثر نقدم تفسيرات المؤلفة خديجة بقاش أن الحكومة الفرنسية سعت إلى ربط الاستعمار والتبشير في الجزائر عن طريق الأعمال الخيرية التي تقوم بها الراهبات من اجل استمالة المجتمع الجزائري لتنصره[3].

2-تقييم الكتاب:

مثلت هذه الدراسة التي تناولتها الباحثة ايفون تيران في كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة فترة حاسمة في تاريخ الجزائر منذ المرحلة الأولى للاستعمار، تلك التي كانت في النصف الأول من القرن التاسع عشر بتغلغل الفرنسيين، توضح المؤلفة كيف صاحب الغزو العسكري بسياسة فتح المدارس و المستشفيات، لذلك هوا دراسة قيمة لما يعرضه من أحداث في شتى المجلات.

شكلت هذه الدراسة ميزة نوعية استخدمت فيها المؤلفة محصولها العلمي بطريقة خاصة لدراسة طبيعة المجتمع الجزائري والمجتمع الفرنسي بهدف شرح العداء والصدام القائم بينهما اعتمادا على تقصي حقائق الماضي و إعادة بنائه و الاطلاع عليه باستخدام المنهج التاريخي إضافة إلى تحليلها للأحداث التاريخية بهدف توضيح العلاقة بين النتائج واسباب رفض المجتمع الجزائري للمدرسة والطب الأوروبي، من أجل تقديم نتيجة تكون كافية في نظرها.

لقد كانت المعلومات التي قدمتها ايفون تيران جمعت من المصادر الفرنسية من الأرشيف والتقارير والسجلات والوثائق الأصلية دون أن ننسى قوائم تفتيش والتقارير الإدارية والإحصائيات الخاصة بالمكاتب

1-ايفون تيران، المرجع السابق، ص_ ص: 101_103.

2-عبد القادر بوتشيشة، المرجع السابق، ص: 660.

3خديجة بقاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830_1870م، دار حلب، ص، ص: 66،111.

العربية وغيرها، إضافة إلى الاستشهاد بأقوال وأراء العديد من الأطباء والمترجمين والجنرالات العسكريين الذين عاصروا تلك الفترة الزمنية.

عند دراسة هذا الكتاب فإننا نلاحظ أن المؤلفة أثناء تقديمها لبعض المعلومات لا تعطي للعنوان نصيبه من الدراسة بانتقالها للحديث في جانب آخر، نذكر على سبيل المثال في الفصل السادس في العنصر الأخير المعنون ب "المرأة الجزائرية والطب الأجنبي «نلاحظ أنها تكلمت عن المرأة في إطار صفحتين فقط أما باقي الصفحات تكلمت فيه عن قضية رفض التلقيح وما تلاه من تطورات.

كذاك في بعض الأحيان تكثر المؤلفة من اللف والدوران والإطناب من خلال تكرار الحديث عن بعض الأشياء نذكر على سبيل المثال الانتقاد الشديد الموجه للمجتمع الجزائري الذي يصفه على أنه مجتمع متخلف متعصب وخاصة الزوايا ورجال الدين فجميع فصول الكتاب تحتوي على شهادات وعبارات مماثلة تتكرر في جميع الصفحات.

رغم ما للكتاب من أهمية بارزة على مستوى العلمي لا أن هناك بعض المعلومات التي لابد من التطرق إليها لمعرفة ما ورد في الكتاب ،مهما حاول الباحث أن يكون محايدا في دراسته لا أنه لا يستطيع الانسلاخ عن ذاتيته حتى و لو تضمن نسبة قليله ، يبرز هذا الشكل على البحث التاريخي الذي قدمته الباحثة إيفون تيران فرغم الموضوعية التي اتصفت بها في سرد أغلب الأحداث إلا انها كانت متحاملة جدا فيما يخص بعض جوانب متعلقة بطبيعة لاستعمار من خلال تحيزها لصالح الحضارة الغربية ، عند قراءة الكتاب يتضح رأيها الشخصي الذي يخضع لقناعتها و رؤيتها الشخصية.

رغم من تاريخ فرنسا الحافل بالسواد في الجزائر إلا أنها ترى فيها البلد الذي جاء لنشر رسالة حضارية تدفع المجتمع الجزائري للانتقال من ظلمات الجهل والتخلف إلى التطور والتحضر نستشهد بما ذكرته في هذا الصدد: «... تدجيت هذه البلاد وتنورها الواحدة تلوى الاخرة ونشر فضائل فيما بعد أن هجرتها لقرون عدة تلكم هي المهمة النبيلة التي تطوعت للقيام بها وانجزتها ...»[1].

قدم لنا العديد من الباحثين صورة مغايرة للحكومة الفرنسية من بينهم الباحث سعد زغلول الذي يذكر أنه «حاولت الحكومة الفرنسية تبرير احتلالها بأن لها رسالة تحضير وتثقيف الشعب الجزائري بل جاء

1-ايفون تيران، المرجع السابق، ص_ ص: 44_45.

الغزو الفرنسي بنكبة اقتصادية على أهل البلاد فلم يبقي الغزاة على شيء في أماكن التعليم والعبادة فقد استولوا عليها واعثو فيها فسادا»[1]، وضح الباحث مجاهد مسعود إن الحجج التي قدمتها فرنسا لتبرر استعمارها هي حجج واهية جدا لأن العلم يمكن إن ينشر بدون استعمار و يضيف :« نادت الثورة الفرنسية بالحرية و مساواة و الإخاء هذا شعارها ، و يا له من شعار إنساني فهل طبقت هذه المبادئ بعينها على الشعوب التي أهدرت حقوقها و سلبت حرياتها و ديست بالفعل مقدساتها »[2].

طرحت المؤلفة العديد من الانتقادات الشديدة للمجتمع الجزائري المسلم على وجه خاص فهي لم تتحدث عن اليهود كثيرا من بينها نذكر ما يلي: «لا شيء غير البرابرة ... لا يردون أن يتحضروا» استمرت في تقديم العديد من الأدلة مما يؤكد أن الأمر قد أصبح أكثر إلحاحا تذكر تيران: «أنه ينبغي الإلحاح بقوة على هذه الفكرة وعدم تغيبها عن البال، إن هاتين الخضارتين تقليدية والأخرى حديثة».

سنقتصر على ذكر بعض النماذج و التفسيرات التي طغت فيها النظرة الاستعمارية على المؤلفة منها ما نقلته عن إحدى الراهبات التي تذكر القول التالي :«آه امي الحنون إن مظهر العرب هنا مخيف لأول وهلة ...إن الفرصة لتسنح لنا الوقوف بجانب هؤلاء المتوحشين الاشقياء ، و بالخصوص في اواسط القبائل خارج المدن و في البوادي ...حيث لا يسعنا الدخول إلى قصورهم إلا على أربع قوائم أو منبطحين ،و بعد الدخول ينبغي لنا القعود أو الاضطجاع » ، تضيف على هذا القول الوصف الذي قدمته الأخت سينف وروز معبرة على إن جرأة جنس الذكور لا يستثني حتى رفيقاتها :« ليس بمقدوري ان أعبر لكم كم من التدابير الاحتياطية يجب أن نتخذ سوءا بالنسبة إلينا أم بالنسبة للأطفال ، فالرجال هنا مثل السباع المفترسة و أنا شخصيا أخشاهم بمثل ما أخشى السباع بل أكثر من ذلك ! » هكذا أوردت تفسيرات مغرضة شوهت صورة المجتمع الجزائري.

أما من ناحية التعليم قد أعطت تورين وصف للحركة العلمية التي كان يقوم بها اهل العلم والدين على انها تسير بطريقة سيئة تبث الجهل والعقائد المضادة لتمدن ولتوضيح الفكرة أكثر نقدم ما ذكرته: «إن خطبهم ذات تأثير بالغ وتؤذ الأفكار الجديدة ...هؤلاء كانوا متجولين لفكر عدواني نشيط»، تضيف خلال

1- سعد زغلول، الرجع السابق، ص: 30.

2-مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، ج1، دار الأيتام الإسلامية، القدس، 1969م، ص، ص: 122، 37.

حديثها عن الطب بتشبيه المرابط الذي يقوم بعلاج المرضى بالطبيب من العصور الوسطى في الجهل و التخلف .

أما عن مصادر التي اعتمدت عليها تورين في دراستها استخدمت الأرشيف والمصادر الفرنسية فقط، فهي لم تدرس هذه المظاهر الحضارية من كلا الطرفين لخلق الصورة واضحة لا تحتوي على أي تحيز، بل اقتصرت على الجانب الفرنسي مما ادي إلى عدم توازن في المعلومات فهي لم تستخدم المصادر العربية إطلاقا وهذا على اساس ما صرحت به: «ولسوء الحظ إن هذه الأعمال متقطعة إننا لن نستعمل أو لن نستعمل تقريبا هنا الصحافة ...أما المصادر العربية؟ فكيف يمكن إقناع المهتمين بأن يكونوا حذرين إزاءها ؟!» [1]وهذا ما جعلها محط انتقادات لبعض الباحثين.

نقدم تحليل الباحث بيير بوير(pierre Boyer) على سبيل المثال :« لقد قامت إيفون تيران بخدمة عظيمة لبعض المؤرخين الذين يميلون إلى أحكام محددة و أطروحات متجانسة ، حاولت فهم المستَعمر و المستعمِر ، لم يكن من السهل إنجازها هذا البحث كان على المؤلفة أن تبحث بشكل منهجي في الأرشيفات جميع الأنواع للعثور على المعلومات اللازمة ، ولا نستطيع أن نلومها بل ناسفها لعدم استخدامها المصادر العربية مما ينتج عنه توثيق غير متوازن و بالتالي يمكن القول أن هذه الدراسة تركت مفتوحة للنقاش فيها و من ناحية ثانية تتيح لنا الدراسة إلى التعرف على السياسة التي انتهجها الفرنسيون بالتفصيل »[2].

أما الباحث فاني كولونا (fanny colonne) قد وضح رأيه: «بالرغم من كون هذا الكتاب رائعا إلا إن الايدلوجية التي يقوم عليها مرتبطة بالإطار الفاضح للجزائر المستعمرة، ومن خلال دراسة تطور الذي شهدته الجزائر ترفض فكرة الاستعمار الفكري (ص:09) و سعت جاهدة لإظهار كيف رفضت المدرسة و الطب من خلال نظرة المستعمر لفهم السياسة التي تم إحباطها ، ولا شك ان تورين لا تنكر ان

1ا_يفون تيران، المرجع السابق، ص، ص:353،101، 15،12.

2- Pierre Boyer Yvonne Turin, Affrontements CULTUREIS DANS L'AL'ERIE COLONIALE .ECOLES, M'EDECINES.RELIGION, 1830 -1880.IN : REVUE DE L'OCCIDENT MUSULMAN ET DE LA MEDITERRANEE, n°9.1971.P :236.

السياسة الاستعمارية قد خربت كل شيء و جعلت الاوضاع الاجتماعية و الاقتصادية اكثر تدهورا (ص: 28،29،412) ، لكن بنفس القدر يبدو لها ان الشر ضروري ، الشر الذي ينقل إلى الخير[1]

وفي الأخير نقدم رأي الدكتور ابو عمران الشيخ في دراسته لِمقاومة الزوايا لسياسة الاستعمارية من خلال كتاب المواجهات الثقافية، يذكر انه يمتاز هذا الكتاب الذي قدمته باعتماد على وثائق كلها هامة، كانت سرية قبل اليوم واصبحت الأن في متناول الدارسين. غير أن الوثائق كلها من مصادر فرنسية، ينبغي إن تقارن بالمصادر الجزائرية والأجنبية لنختبرها اختبارا موضوعيا، ومهما كان من الأمر فإن هذا الكتاب أتى بمعلومات مفيدة .[2]

1_COLONNA FANNY, TURIN Y, Affrontements CULTUREIS DANS L'AL'ERIE COLONIALE .ECOLES, M'EDECINES.RELIGION, 1830 -1880.IN : REVUE FRANCAISE DE SOCIOLOGIE, 1972, P : 129 ,133.

2_ أبو الشيخ عمران، المرجع السابق، ص58.

الفصل الثالث:

قراءة في كتاب الحياة النسوية في مزاب1927 ل ايميلي ماري جواشون.

المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المؤلفة.

المبحث الثاني: الدراسة الشكلية للكتاب.

المبحث الثالث: الكتاب برؤية نقدية.

تمثلت جهود المستشرقين على مدى تاريخهم الطويل في أعمال مختلفة من بينها كتاب الحياة النسوية في مزاب 1927 الذي يعتبر ثمرة لرغبة استكشاف قامت بها ايميلي ماري جواشون في المجتمع المزابي بغرداية، استهلته بتاريخ الإباضية منذ عقد الخلفاء الراشدين مرورا بمعركة صفين إلى عهد الدولة الرستمية، ثم تاريخ مزاب ونشأة قصوره السبعة والحياة الاجتماعية والاقتصادية للمزابيين إلى غاية الوصول الحياة النسوية ومراحلها بدء بالطفولة وصولا إلى الشيخوخة والوفاة.

المبحث الأول: نبذة تعريفيه ايميلي ماري جواشون.

كان التاريخ على مدى الزمن ولا يزال مجال بحث يستقطب أقلاما متنوعة في اهتماماتها ومناهجها ومدارسها ولنا في هذا نماذج كثيرة من بينها، ايميلي ماري جواشون (Amelie marie Goichon).

1.مولدها ونشأتها:

ايميلي ماري جواشون (Amelie marie Goichon) هي مستشرقة فرنسية ولدت في 18 يناير سنة 1994م بمدينة بواتييه الفرنسية وتوفيت في باريس وهي صاحبة 83 سنة وكان ذلك خلال 8 أوغسطس سنة 1977م[1].

حظيت بتعليم جيد بحيث نالت شهادة ليسانس باللغة الإنجليزية من بواتييه سنة 1920م ثم شهادة ليسانس ثانية في تخصص الأدب العربي بمدينة بوردو سنة 1927م[2].

كانت ايميلي ماري جواشون من أشد المستشرقين حماسة وأكثرهم اقتناعا بالفلسفة الإسلامية وفلسفة ابن سينا خاصة ،لذلك تخصصت فيها درستها دراسة معمقة [3] فنتج على أثر هذا رسالتي دكتورة عام 1938م جاءت الرسالة الرئيسة بعنوان " التميز بين ماهية و الوجود عند ابن سينا"، أما الرسالة الثانية فعنوانها " معجم لغة ابن سينا الفلسفية " إلى جانب هذا فقد عينت ايميلي ماري جواشون أمينة مكتبة في جامعة بوردو في قسم الآداب بعد أن تحصلت على الشهادة المؤهلة في سنة 1924 ثم عادت اشتغل نفس

1- عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص: 191.

2- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج:1 المرجع السابق، ص: 309.

3- ايميلي ماري جواشون، فلسفة ابن سينا وأثرهما في أوربا خلال القرون الوسطى، تر: رمضان لاند، (ط 1)،1950، ص :3.

المنصب في مكتبة جامعة باريس بقسم الطب في أول يناير إلى غاية تقاعدها[1]و بالموازاة مع هذه المهام فإنها كانت أستاذة في تخصص تاريخ وحضارة الدولة العربية بجامعة السوريون[2].

2. نتاجها العلمي:

تعد ايميلي ماري جواشون من أكبر دارسي إبن سينا وفلسفته الإسلامية بل وتعتبر كتاباتها سببا أعاد ابن سينا إلى جامعة السوريون بعد أن تعرض للطرد منها في العصور الوسطى[3].

من بين الكتب التي ألفتها ايميلي ماري جواشون في مجال الفلسفة الإسلامية لإبن سينا نجد كتاب المعنون ب "المدخل إلى ابن سينا" الذي نشر في مدينة باريس بجزئية الأول والثاني خلال سنة 1923 بعد أن قامت بترجمة إلى الفرنسية، ثم صنعت في سنة 1938 كتاب آخر درست فيه بعض الألفاظ والمصطلحات لدى فلسفة ابن سينا مع إعطاء مقارنة بينها وبين مصطلحات أرسطو[4] ومع سنة 1944 أصدرت جواشون كتاب أخر أطلقت عليه عنوان "فلسفه ابن سينا وتأثيرها في أوربا إبان العصور الوسطى" على اثر المحاضرات الثلاث التي ألفتها في مؤسسة الدراسات الشرقية الإفريقية التابعة لجامعة لندن خلال الرابع والسادس والسابع من شهر آذار خلال سنة 1940 [5] تم لم تصل سنة1951 حتى أصدرت كتابا أخر جاء عنوانه "ابن سينا الإشارات والتنبيهات ترجمة مع تعليقات " .

وفي الجانب الديني ألفت إيميلي ماري جواشون كتب أخرى تذكر منها كتاب "سر الثالوث المقدس بحسب القديس توما الأكويني" الذي كان في سنة 1944م ثم كتاب "الغفران " خلال سنة 1948م بالإضافة إلى الكتاب الصادر سنة 1952م وعنوانه " هل حياة التأمل ممكنة في هذه الدنيا"[6].

1- عبد الرحمان بدوي، للمرجع السابق، ص: 191.

2- ايميلي ماري جواشون، الحياة النسوية في مزاب 1927م تر: سامية نور الدين شلاط، دار نزهة الالباب، غرداية، ص: 5.

3- آ م جوا شون، تأثير ابن سينا في الغرب، تر: علي زيغور، مترجمات من تاريخ الفلسفة والنفسانيات والعلم داخل الدار العالمية للإنسان والفكر والمتخيل، الانتشار العربي، 2016، ص: 01.

4- نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج 1، ص: 309.

5ايميلي ماري جواشون، المرجع السابق، ص: 05.

6- عبد الرحمان بدوي، المرجع نفسه، ص: 191.

كما تركت إلى جانب هذه الكتب المختلفة التي ذكرناها سابقا كتاب بعنوان:" الماء هو المشكلة الحيوية لمنطقة نهر الأردن"، الذي كان في سنة 1964م ثم كتاب" المملكة الأردنية في واقعها الحقيقي" من سنة 1967م إلى غاية سنة 1972م الذي يتضمن مجلدين الأول والثاني إضافة إلى إصدارها لكتاب سنة 1976م بعنوانه "أورشليم، نهاية المدينة العالمية" ولقد كان في المحاضرات إلى كلفت بإلقائها في جامعة السوريون لسنة 1959 أثر في تأليفها لهذه الكتب[1].

وأخيرا الكتاب الذي مثل موضوع دراستنا في هذه المذكرة المعنون ب "الحياة النسوية في مزاب" عالجت فيه المؤلفة مراحل حياة المرأة المزابية بداية من الطفولة إلى غاية الشيخوخة والوفاة وكان هذا في سنة 1927م.

المبحث الثاني: الدراسة الشكلية للكتاب

كان المجتمع المزابي أصيلا في تراثه فريداً في تركيبته ألهم الباحثين من بينهم المستشرق الذي حمل قلمه وهب يكتب عنه الكثير والكثير فكانت من ثمراته العديد من المؤلفات من بينها الكتاب الذي هو موضوع دراستا في هذه المذكرة وعنوانه "الحياة النسوية في مزاب "1927 للمستشرقة الفرنسية إيميلي ماري جواشون.

1.تقديم الكتاب:

"الحياة النسوية في مزاب سنة 1927" (la vie féminine au Mzab) هو كتاب مستشرقة الفرنسية ايميلي ماري جواشون من تقديم وليام مارسيه (William Marçais)، نشر ألكتاب بجزئه الأول خلال سنة1927 ثم جزئه الثاني في عام 1931 من طرف مكتبة المستشرقين بول جوثنر (librairie Orientaliste Paul Geuthner)، بباريس عاصمة فرنسا.

احتوى الجزء الأول على 345 صفحة مقسمة إلى مقدمة وعشرة فصول إضافة إلى خلاصة وملحق بيه مختلف وصفات المطبخ والأغاني المزابية وأنواع لبعض المجوهرات، أما الجزء الثاني فصنف في 154 صفحة

1- عبد الرحمان بدوي ،المرجع نفسه، ص: 119.

مقسم إلى مقدمة وأربعة فصول عبارة عن إضافات وتصحيحات لما ورد في الجزء الأول أضافتها ايميلي ماري جواشون خلال زيارتها الثانية لغرداية.

يحتوي الكتاب على نسخة مترجمة تحت عنوان " الحياة النسوية في مزاب 1927"، ترجمة سامية نور الدين شلاط، نشرته نزهة الألباب بغرداية في أكتوبر 2019، بلغت عدد صفحاته 359 صفحة ويشمل الجزء الأول فقط من النسخة الأصلية وسنتطرق لدراسة الكتاب المترجم من قبل سامية نور الدين شلاط.

فيما يخص محتويات الكتاب: فقد تألف الكتاب من مقدمتين الأولى للمترجمة والثانية للمؤلفة بالإضافة إلى عشرة فصول وخلاصة وملحق.

جاء الفصل الأول بعنوان تنظيمات المجتمع المزابي وتشريعاته العائلية والفصل الثاني بعنوان الميلاد، بعد ذلك وضعت إيميلي ماري جواشون فصلاً بعنوان الطفولة ثم فصلاً رابعا بعنوان الزواج أما الفصل الخامس فعنونته بالنساء الشابات، إضافة إلى الفصول المختلفة فإن المؤلفة قد خصصت فصلا كاملا تحدثت فيه عن أحلام الأمومة عند المرأة المزابية ثم تطرقت في الفصل الذي يليه عن الأفراح والأقراح التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من حياة المرأة المزابية، و لما فرغت المؤلفة من هذا الفصل فإنها شرعت في الحديث عن موضوع آخر وهو الدين في وادي المزاب ثم انتقلت فيما بعد إلى فصل أخر عنونته مغسلات الموتى يحارب العادات البربرية ثم جاء فصل الشيخوخة والوفاة وهو أخر ما كتب عن الحياة المزابية، لتختمها بخلاصة وملحق لأهم وصفات المطبخ المزابي وما كانت تؤديه من الأغاني وما ترتديه من ملابس ومجوهرات.

2. محتوى الكتاب:

وضعت ايميلي ماري جواشون مقدمة لكتابها تطرقت فيها إلى مختلف الصعوبات التي واجهتها المؤلفة أثناء عملية جمعها لمعلوماتها إضافة إلى مختلف المساعدات التي قدمها لها بعض الباحثين المهتمين ببحثها أمثال: أم، و، مارسيه (M.W.marçais) ، ولويس ماسينون (Louis Massignon) وغيرهم

ثم جاء الفصل الأول كمقدمة تمهيدية لباقي الفصول تحت عنوان "تنظيمات المجمع المزابي وتشريعاته العائلية" متضمنا خمسة وعشرون[1] صفحة حاولت جواشون من خلاله الإجابة عن الإشكالية المطروحة والمتمثلة فما هي الظروف التي دفعت هذا المجتمع المزابي للعيش وسط ربوع خالية وكيف تم تنظيمه وما هي

1- تم إضافة عدد الصفحات من النسخة الأصلية.

أبرز القوانين التي كانت تحكمه وعلى هذا الأساس تطرقت المؤلفة إلى بداية ظهور بني مزاب وأصولهم إضافة في اعتقاداتهم والأسس التنظيمية التي كانت تسيرهم[1].

أما الفصل الثاني وعنوانه "الميلاد" فتضمن عشرون صفحة تطرقت فيه ايميلي ماري جواشون إلى مختلف الممارسات والتحضيرات التي تقوم بها المرأة المزابية لاستقبال مولودها الجديد بداية من لحظة الولادة إلى غاية يوم الأربعين من خلال الإشارة إلى العادات التسمية الملبس والمأكل[2].

وضعت المؤلفة الفصل الثالث تحت عنوان "الطفولة" متضمنا ثمانية وعشرون صفحة حاولت من خلاله ايميلي كشف الغطاء على المعاناة والظروف السيئة التي كان يواجهها الأطفال في أعوامهم الأولى من سوء تغذية وتردي في المستوى المعيشي، ثم انتقلت فيما بعد للحديث عن أنواع لمجوهرات واستعمالاتها التي لم يغفل عنها سكان المنطقة رغم الظروف من بينها الخلخال، تيمشرقت، العياشة التي لا تعتبر للزينة إنما يوحي اسمها إلى أنها تمنح الحياة للطفل الصغير، ولما فرغت ايميلي من المجوهرات شرعت في الحديث عن التعليم بالنسبة للمرأة المزابية والذي كان يقتصر على بعض الدروس الأخلاقية والتفسيرات الأولية للصلاة[3] .

بعد ذلك وضعت صاحبة الكتاب عنواناً أخر وهو "الزواج" في ثمانية وعشرون صفحة أشارت فيه إلى قيمة المهر الموحدة في مزاب سوءا للفقراء أو الأغنياء بعدها واصلت المؤلفة حديثها عن تفاصيل حفلة الزواج وكيفية التحضير لها بدءا من اليوم الأول إلى غاية اليوم السابع والتي تكون تحت إشراف الوزراء أو ما يطلق عليهم بآلوزران باللهجة المزابية وهم جماعة من رجال واسعي الخبرة يقومون بتنظيم الحفلات ببيت العريس أما بيت العروس فتتم التجهيزات من طرف العروس وعائلتها[4].

أما في الفصل الخامس وهو محور الكتاب فعنونته جواشون ب "النساء الشابات" تضمن سبعة وثلاثون صفحة، تطرقت منه المؤلفة إلى أهم مرحلة من مراحل الحياة المزابية الأولى وهي مرحلة الشباب التي تعتبر حلقة وصل بين مرحلة الطفولة ومرحلة الشيخوخة، تقضيها الفتاة الشابة في مسكن الزوجية ذلك

1- سامية نور الدين شلاط في ترجمتها لي: الحياة النسوية في مزاب المصدر السابق، ص _ص :13 _35.

2- سامية نور الدين شلاط في ترجمتها لي: الحياة النسوية في مزاب المصدر السابق، ص _ص :39 _54.

3- المصدر السابق، ص _ص:57 _89.

4 - سامية نور الدين شلاط، في ترجمتها لي: الحياة النسوية في مزاب، 1927، المصدر السابق، ص _ص: 93 _118.

المسكن الذي وصفته المؤلفة بالبساطة من حيث شكله الداخلي و الخارجي وما بيه من أثاث و أفرشة ثم انتقلت المؤلفة فيما بعد لمعالجة مختلف المجوهرات التي ترتدها المرأة المزابية خلال فترة شبابها من بينها مثلا تابزيمت، تسغتيست و التاكنبوشت إضافة إلى بعض الأدوات المستعملة للزينة و التي استلهمتها المرأة من البيئة التي تحيط بها كالشب، المسك، ايلاغ، تكايا[1] .

ثم جاء الفصل السادس بعنوان "أحلام الطفولة" في إحدى عشر صفحة استهلته المؤلفة بمجموعة من الأهازيج والأغاني التي لطالما جسدتها المرأة المزابية وهي تطبخ وتنسج حتى وهي تلاعب صغيرها وتهدئه لينام[2].

أما في الفصل السابع فعنونته المستشرقة "بالأفراح والاقراح"، وتضمن ثلاثة وثلاثون صفحة حاولت المستشرقة من خلاله نقل مشهد واضح عن مختلف الاحتفالات المزابية وكيفية التحضير لها بداية باحتفال الولادة إلى احتفال الأم بعودة ابنها المسافر من تجارته الشمالية، إضافة إلى الأعياد التي تتكرر كل عام من تاريخها مثل الأول من رأس السنة، عاشوراء، عيد الأضحى، عيد الفطر ... الخ، أما الأقراح فذكرت المؤلفة إنها تتمثل في الأمراض كالزهري وما إلى غيره إضافة إلى الطلاق أو وفاة الزوج[3].

إلى جانب الفصول المختلفة خصصت جواشون فصلا كاملاً للحديث عن الدين، كيف لا وهو ما تراه سببا في تلك الحياة التقية الورعة هناك، والتي كانت تنظمها العزابة [4]وتساعدها مؤسسة المغسلات "التيمسريدين"[5]، بعدها انتقلت المؤلفة إلى إثبات دور هيئة المغسلات وما تقدمه للنساء من توجيهات وإرشادات أخلاقية تبعدهم عن العادات البالية والانحرافات الدينية الناتجة عن الجهل والتقليد القديم كزيارة

1- سامية نور الدين شلاط، في ترجمتها لي: الحياة النسوية في مزاب، المصدر السابق، ص _ ص: 121 _ 160

2- المصدر نفسه، ص _ص: 163 _176.

3- المصدر نفسه، ص _ص: 179 _ 219.

4- العزابة: من غرب يعزب وهي البعد، أما عن اصطلاحها فهي هيئة اجتماعية ودينية تسعى لخدمة الإسلام والمصلحة العامة تتكون من 12 عضو أو 14 عضو يعود تأسيسها إلى محمد بن أبي بكر الفرس طائي ... ينظر: بكير بن سعيد أعوشت، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية، دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية نهج طالبي أحمد، غرداية _ الجزائر، 2014 ص: 102.

5- التيمسريدين: هي هيئة سياسية ودينية واجتماعية تتولى شؤون المرأة وترعاها، تأسست مع تأسيس نظام حلقات العزابة، أطلق عليها بالمحلية الأمازيغية تيمسريدين أي الغاسلات لأنهن يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال ينظر: ليلة خبزي، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي مجلس تيمسريدين نموذجا، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع 7، 2014، ص: 410

الأضرحة الأولياء لأجل التبرك بهم أو التوسط لهم في أمور الزواج أو طلب الخدمة، هذا الأمر الذي جعلهم بحاجة إلى قوانين ردعية كقانون التبرئة أو "التبريت" بالمزابية.[1]

عنونت إيميلي ماري جواشون الفصل التاسع ب "مغسلات الموتى يحاربن العادات البربرية " فجعلته في خمسة عشر صفحة حاولت فيه المؤلفة إعطاء صورة واضحة عن عملية الإصلاح النسوي التي كانت تقوم بها من هيئة مغسلات الأموات ضد كل ما هو خرافي وممنوع كإقامة الزغاريد والأغاني في الحفلات ناهيك عن الإسراف في التحضيرات والهدايا المتبادلة بين أهل العروس والعريس[2].

الفصل العاشر والأخير تطرقت المؤلفة إلى "الشيخوخة والوفاة "في مزاب فكان عدد صفحاته بثماني صفحات، صفحة تطرقت فيه صاحبة الكتاب عن أخر مرحلة من حياة المرأة المزابية ألا وهي مرحلة الشيخوخة وذلك من خلال للإشارة إلى متوسط عمرها الذي ذكرت بأنه في سن الخامس والخمسون ونادرا ما يصل إلى سن الثمانون، هذا العمر الذي تشعر فيه العجوز باقتراب أجلها والرغبة في الاعتراف عن جميع الأخطاء التي كانت قد ارتكبتها سابقا وما إن تفارق الحياة حتى تبدأ المغسلات بغسل جثمانها ثم تكفينها و دفنها تم توزيع التمور و الخبز على الحاضرين كصدقة لها[3].

في الأخير أنهت المؤلفة كتابها بخاتمة كخلاصة لما تضمن من فصول ثم أرفقت هذه الخلاصة بملحق وبعض الصور التوضيحية لأنواع المجوهرات وأسمائها إضافة إلى بعض الزخارف والتطريز وأشكاله[4].

3-مصادر المؤلفة:

يعتبر تنوع المصادر والمراجع دلالة على مصداقية أي بحث كان فكلما تنوعت المصادر وتعددت كلما حضي موضوع البحث بشأن عظيم وقيمة علمية بالغة.

من خلال قائمة المصادر الواردة في النسخة الأصلية لكتاب الحياة النسوية في مزاب نجد إن مؤلفته قد اعتمدت على مصادر عربية من بينها كتاب لابن خلدون وعنوانه "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب

1- سامية نور الدين شلاط، في ترجمتها لي: الحياة النسوية في مزاب 1927، المصدر السابق، ص: 233-251.

2- المصدر نفسه، ص _ ص: 255 -268.

3- سامية نور الدين شلاط، في ترجمتها لي: الحياة النسوية في مزاب، المصدر السابق، ص: 271-278.

4- المصدر نفسه، ص _ ص: 279 -359.

والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر" الذي كان يعتبر موسوعة تاريخية يتناول بالدراسة جميع الميادين المعرفية والسياسية والاحتجاجية والدين إضافة إلى أحوال البشر من عرب وبربر وزيادة على ذلك فقد اعتمدت المؤلفة على كتاب لأبي زكريا يحي بن أبي بكر وعنوانه "سير الأئمة وأخبارها" المعروف "بتاريخ أبي زكريا" الذي يتناول تاريخ الرستمين الإباضين[1].

إلى جانب المصادر العربية نلاحظ أن الكاتبة قد إستخدمت مصادر أخرى أجنبية من بينها كتاب مونتليسكي (Motylinski) وعنوانه "كتب الطائفة الإباضية"، (Les Livres de la Secte abadhits)، ثم كتاب أخر لهيجو (Hegeut) المعنون ب"شروط الحياة العامة في مزاب"، (Condition Générale de la vie au Mzab) كما اعتمدت أيضا على كتاب آخر بعنوان "الحضارة المدنية في مزاب"، (la civilisation urbain au Mzab) للمؤلف الفرنسي مازال مارسيه (Mariel mercier) الذي أصدره سنة 1922[2].

لاستعراض أنواع المجوهرات التي كانت ترتدها المرأة المزابية خلال مناسباتها وحفلاتها فقد عادت إيميلي إلى "قاموس المجوهرات في شمال إفريقيا"، (dictionnaire des bijoux de l'Afrique du nord) لبول أودال (peau Eude) [3] وعندما تحدثت جواشون عن السحر في مزاب فإنها اعتمدت في توثيق معلوماتها على كتاب "السحر والدين في شمال إفريقيا"، (Magie et religion dans l'Afrique du nord) لإيدموند دوتي (Edmond (doutée

بالنسبة للمقالات فقد استخدمت المؤلفة مقال لبول مارتي (poule Marty) الذي نشر في مجلة العالم الإسلامي بعنوان "تمائم المسلمين في السنغال"(les amulettes musulmans au Sénégal)[4] إضافة إلى مقال أخر لديسبارمون (Desparment) الذي تم نشره من طرف المجلة الإفريقية وعنوانه "الاثنوجرافي التقليدي في متيجة" (Ethnographie Traditionnelle de la

1 - A, M Goichon, la vie féminine au MZAB 1927, vol1, Paul Geuthner, paris, 1927, p p : 2-7.

2 - Ibid, pp: 9-12.

3 - Ibid, p: 18.

4 - Op، cit، p: 21.

Mettidja) [1] ونظرا لقرب ايميلي ماري جواشون للمنطقة المدروسة فإنها قد اعتمدت في نقل معلوماتها على الروايات الشفوية للحصول على بعض العادات والممارسات التي تخص المرأة المزابية، ولم تصرح صاحبة الكتاب بأسماء هؤلاء واكتفت بذكر عبارة " أخبرتنا " و "أخبرنا" فقط.

كان هذا عرض لأهم المصادر التي وردت في كتاب الحياة النسوية في مزاب الذي هو موضوع دراستنا في هذه المذكرة.

المبحث الثالث: الكتاب برؤية نقدية.

إن دراسة الحياة النسوية في مزاب دراسة شاملة تتطلب بالضرورة إلقاء نضرة أولية عن الإطار العام الذي نشأت فيه المرأة المزابية من خلال التطرق إلى أصوله وأسسه التنظيمية السياسية والدينية لوضع المرأة لديهم ناهيك عن تشريعاتهم الأسرية ونحن من خلال دراستنا سنحاول التطرق إلى أهم ما جاء في هذا الكتاب.

1-المحاور الأساسية للكتاب: لقد تضمن كتاب الحياة النسوية العديد من الأفكار والمحاور الأساسية توحدها فيما يلي:

أ-أصل السكان تعددت الروايات في ضبط أصل سكان وادي مزاب والمناطق التي قدموا منها والأسباب السياسية و الاقتصادية التي دفعتهم إلى مغادرة أوطانهم والعيش في ربوع خالية[2] و من هنا نذكر أكثر الروايات المتفق عليها على أن بني مزاب هم نتاج مصاهرة حدثت بين سكان أصليين من قبائل زناته وفارين إباضين نزحوا على شكل هجرة جماعية من تيهرت بعد سقوطها على يد الفاطميين إلى سدراتة ثم ورجلان وصولاً إلى وادي مزاب[3].

ب – تنظيمات المجتمع المزابي وتشريعاته:

---

1 - - A, M Goichon،Ibid، p: 26.

2- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، معالم النهضة الإصلاحية عند اباضية الجزائر 1157هـ 1744م إلى 1832 هـ 1962م، جمعية التراث، (ط1)، غرداية، 2011، ص: 58.

3- دادي حمو ابراهيم، أثر العوامل الثقافية والاجتماعية على ثقافة المقاولة عند بني مزاب، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة، في اقتصاد وتسير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة الجزائر، 2020 _ 2021، ص: 142.

عندما استقر الإباضين في وادي مزاب سعوا للمحافظة على بقائهم وذلك من خلال الدعوة إلى الإباضية[1] وبعد الدعوات المستمرة، تحول سكان مزاب من أصولهم المعتزلة إلى المذهب الإباضي، ويعود الفضل في ذلك إلى الداعية أبو عبد الله بن بكر[2].

في سياق الكلام عن هذا التحول المذهبي نورد بعض الحديث الموجز عن الإباضية وأصولهم: التي تذكر ايميلي ماري جواشون أنها تعود إلى فرقة الخوارج الذين خرجوا على خلافة علي رضي الله عنه[3]، خلال معركة صفين وأعلنوا عن مبادئ حزب جديد و اتخذوا لأنفسهم زعيما وقائدا هو عبد الله بن وهب الراسبي الذي نسبت باسمه الطائفة الوهابية، ونادوا بشعارهم المشهور " لا حكم إلا الله " ثم انسحبوا إلى مدينة حروراء[4] ويذكر هؤلاء الخوارج قد انقسموا إلى أربعة عشر فرقة منهم الأزارقة، والنجدات والعجردية ...والإباضية، وزعيمهم عبد الله بن إباض [5]، وهم أشد الخوارج اعتدلا[6].

اختلف المؤرخون في كيفية استجابة بني مزاب لفكرة المذهب الجديد عليهم، غير أن المرجح أنها لم تكن فورية ولا جماعية في البداية[7]، فقد ظل عدد كبير منهم على اعتزاله زمنا طويلا والدليل على ذلك هو المقابر التي كانت مجاورة لمدينة العطف "وأغرم أنوادي لملكية" [8]، إلا أن الأمر تغيير فيما بعد خاصة لما أدركوا هدف أبي عبد الله الدعوي الإصلاحي ناهيك عن وجود التقارب الكبير بين المذهبين في بعض المسائل العقدية و الأصولية، ولما نجح أبو عبد الله جعل من مدينة العطف مقرا لدعوته ومكان لتدريس

1- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص: 21.

2-يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية اقتصادية وسياسية، (ط 4)، المطبعة العربية، 2017، ص: 22.

3- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص-ص: 14-15.

4- أبي زكريا يحي بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبراهم المعروف بأبي زكريا، (ط 2)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص: 5.

5- عبد الله ابن اباض: هو عبد الله ابن اباض من بني مرة عاش زمن خلافة معاوية ابن أبي سفيان(40-60) هـ، وتوفي في نهاية خلافة عبد الملك بن مروان، أول مؤسس للإباضية، تمتع بشخصية ذات دهاء وحنكة ... ينظر: بكير بن سعيد أعوشت، دراسات إسلامية في أصول الاباضية، مكتبة وهب، (ط 3)، القاهرة، 1988، ص: 18.

6- محمد بن إبراهيم الكندي بيان الشرع، ح 3، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1984، ص – ص: 210 – 211.

7- عمر داود، الحركة التبشيرية في الجزائر، نشاط الآباء والأخوات البيض في غرداية أ نموذجا، (د ط)، دار نزهة الألباب، الجزائر العاصمة، 2016، ص: 92.

8- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص: 23.

طلبته ينظم فيه حلقات دينية قوامها نشر الإسلام و المذهب الإباضي، وتذكر المصادر أن هذه الحلقات قد قصدها الطلبة القادمين من كل حدب و انضم إليها العامة من السكان وبمرور الزمن تعاظم شأن هذه الحلقات حتى أصبحت هيئة دينية يطلق عليها "العزاب" التي رشحها المجتمع المزابي لتتولى زمام أموره حتى اقتحمت مجالاته الحياتية والاجتماعية[1].

نذكر المصادر الإباضية أن الحلقة التي رتبها الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر لم تكن لها أية سلطة على المجتمع و هدفها الوحيد هو نشر الإسلام و الدعوة إلى المذهب الإباضي، أما عن من و متى رشح المجتمع المزابي هذه الهيئة لتتولى السلطة و تتحكم في دواليب المجتمع المزابي من المسجد إلى الشارع إلى السوق و من العشيرة إلى الأسرة إلى الفرد [2]، و الحديث عن الأسرة و الفرد يجرنا إلى التطرق لبعض القوانين و التشريعات العائلية التي أصدرتها هيئة العزابة و لعل من أبرزها قانون منع المرأة من الخروج [3]، حيث تمتنع منعا باتا من مغادرة المدينة إلا في حالات الضرورة كالعلاج أو الحج ، وذلك لعدة اعتبارات منها أن المرأة هي ربة البيت وبقائها في الوطن يجعل رب الأسرة مرتبطا عاطفيا بوطنه[4].

يقدم لنا أسماوي عمر في رسالته المقدمة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة وثيقة توضح لنا هذا القانون والتي جاء نصها كالتالي: «بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله، هذا وقد أجمعت أعضاء القرى السبعة لوادي مزاب أن لا يرضوا على مزابيا أن يخرج زوجته أو ابنته أو حرمة مزابية، إلى بلدة من سائر البلدان غير إحدى القرى السبعة وإن فعلها فقد تعدى على حدود الله ولزمته دعوة السوء من المذهب وعليه اللعنة [5].

إضافة إلى قانون منع المرأة من الخروج فقد حضر القانون مزابي أي تحالف قد يحدث مع أجنبي

1- عمر داود، المرجع نفسه، ص – ص: 92 – 93.

2- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص: 29.

3- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص: 25

4- علي يحي معمر، الاباضية في موكب التاريخ ن مكتبة الضامري، (ط 3)، عمان، 2008، ص: 385.

5- أنظر وثيقة رقم 13، أسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية بوادي مزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في تاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر ،1986 -1987، ص: 221.

دفعا للأخطار التي قد تحدق بالبلاد وتؤدي إلى اندثار الطائفة الاباضية[1]، يذكر مارسيل موراند (Marcel mourand) في كتابه " القوانين المزابية "(Les kanouns du Mzab) بهذا الصدد اتفاق سنة 1871 لمدينة بني يزقن الذي ينص على ما يلي: «يمنع على كل بدوي يقطن في خيمة أن يستقر في المدينة كما يمنع أي تحالف يعقد مع الأجانب وبأي شكل من الأشكال ومن يتزوج بأجنبية فإنه يخرج معها»[2] .

ج – تعليم المرأة في مزاب:

ترى ايميلي ماري جواشون، أن المرأة في مزاب تتمتع بالتعليم وهي سلطة غير معتادة في البلدان الإسلامية الأخرى[3] بينما ترى بعض المصادر الاباضية أن حياة المرأة و تحركاتها كلها تنحصر في البيت وسط أفراد أسرتها و عائلتها و أبنائها و محارمها أما عن تعليمها فقد كان بطريقة تقليدية بسيطة تتولاه إحدى النساء ممن أوتين نصيبا من العلم من أزواجهن أو أبنائهن و يقتصر هذا التعليم على تلقينهن القرآن الكريم و ما تيسر من السور القصار أو تعليمهن أحكاما في الصلاة والطهارة أما ما يتعلق بتعليم القراءة والكتابة فإن المجتمع المزابي حرم على المرأة ذلك ورأى أن تبقى أمية وكان هذا باقتناع وقصد وإصرار[4].

د – الزواج شروطه ومكوناته في مزاب:

الزواج الأحادي في مزاب قاعدة عامة حيث يسمح للمرأة بأن تشترط على زوجها في عقد الزواج ألا يتزوج عليها بامرأة ثانية مادام الزواج قائما وإن فعلها فإن لها الحق في إنهاء العقد[5] ويقدم لنا أسماوي صالح بن عمر وثيقة تتضمن هذه المسألة جاء نصها كالتالي: «لا يسوغ للزوج أن يتزوج عليها، وألا يغيب عليها

1- ايميلي ماري جوا شون، المصدر السابق، ص: 25.

2 - Marcel Morand، les kanouns du Mzab، Adolphe Jourdan، Alger, 1903، p: 28.

3- ايميلي ماري جواشون، ص: 26.

4- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص – ص: 549 – 554.

5- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص: 93.

فوق العامين أو ثلاثة، وألا يخرجها من وطنها، وإن تجرأ وفعل هذه الأمور كان الحكم بيدها ولا يصرها الانتظار» [1].

رغم سماحة القوانين المزابية مع المرأة و منحها للعديد من الامتيازات من بينها الامتياز الذي سبق الحديث عنه، فإنه قد فرض عليها الزواج في سن مبكر وكمثال على ذلك القصة التي ذكرتها ايميلي ماري جواشون بخصوص هذه المسألة وهي أن رجل يبلغ من العمر أربعين سنة تزوج فتاة عمرها تسع سنوات [2] يذكر بالحاج الناصر في هذا الصدد أن سن الزواج في مراب كان يتم في سن مبكرة للجنسين بالنسبة للزوج فإنه لم يكن يبلغ العشرين أما البنت فقد كان محددا بسبع سنوات ثم اثنا عشر سنة و يستدل على ذلك بالاتفاق المؤرخ بأوائل رجب 807هـ / 1405م ثم الاتفاق المؤرخ بأواخر شعبان من نفس السنة [3] .

كان المهر أو الصداق في مراب موحدا سواء للفقراء أو الأغنياء، وكان الخطيب الذي لا يملك ما يكفيه من المال يبيع ممتلكاته ليحقق ذلك وإن لم يستطع فإنه ستتم مساعدته من طرف والده وأعمامه أولا ثم كل الناس في الأسرة.

يؤكد بلحاج الناصر صحة هذه المعلومات بقوله: "العرف الخاص بالزواج في وادي مزاب يختلف عن كثير من المناطق الجزائرية الأخرى حيث كان بنفس القيمة لجميع أفراد المجتمع غنيا أو فقيرا "[4] على عكس مدينة الجزائر مثلا أو غيرها من المدن الذي كان يختلف من إمرة إلى أخرى.

بالنسبة لمسألة المهر ومكوناته فإن المؤلفة تذكر أنه كان بقيمة 200 درهم بالنسبة للصغيرات أما الكبيرات والأرامل والمطلقات، فقد بلغ 70 هذا إضافة إلى المجوهرات والملابس والمواد الغذائية[5].

يقدم لنا بلحاج الناصر في هذه المسألة جدولين يمثلاني قيمة المهر بمدينتي بني يزقن وغرداية.

1- أنظر وثيقة 16، اسماوي صالح بن عمر، المرجع السابق، ص: 225.

2- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص: 93.

3- ناصر بالحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتورة في التاريخ الحديث جامعة قسنطينة 02، 2013 – 2014، ص: 141.

4- ناصر بالحاج، المرجع السابق، ص: 124.

5- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص – ص: 94 – 100.

. **الجدول الأول:** قيمة الصداق بمدينة بني يزقن سنة 1847م[1].

زمن تقديمها	قيمة الصداق (المبلغ المالي)	النوع	العدد
قبيل الزواج	- 100 دورو للبكر - 50 للثيب - 4 دورو تقدم في ليلة الزفاف	أُقراط الذهب (المشرفة)	اثنان (40 غرام)
		بر	10 حثيات
		اللحم	نصف شاة
ليلة اليوم الثالث		قميص الكمين	واحد
		جبة	واحدة
		لبلاب ولوز ونحوهما	رطلين
		حلوة	حفنة
		نعل	اثنين
		جوارب القطن أو صوف	اثنين
		شال	واحد
اليوم السابع		ملحفة بيضاء	واحد
		قميص	واحد
		جيبة	واحد
		خيمار يطرز بأوقيتين حرير	واحد
		خلالة	واحد

1- بالحاج الناصر المرجع السابق، ص – ص: 129 – 130.

الجدول الأول: قيمة الصداق بمدينة غرداية سنة 1910م[1].

الوقت	المبالغ المالية	ملابس العروس	المواد الغذائية
القسط الأول	200 دورو لشراء المستلزمات المستخدمة في العرس كالقمح	أبزين وتسغنست هذا بالنسبة للمجوهرات. ملحفة+ أحولي + عبروق بالنسبة للملابس	تمر –فول يابس – اللحم – الخبز – الطمينة.
القسط الثاني	لا توجد مبالغ مالية	خاتم + خلخال+ تصغدرين عطور (مسك + زابدة)	تين يابس –كاوكاو – لوز – تكرننويت.

نستنتج من الجدولان أن مكونات المهر لمدينتي بني يزقن وغرداية تنقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يشمل المبالغ المالية والقسم الثاني يتضمن كل ما تلبسه المرأة أما القسم الثالث فهو يشمل المواد الغذائية الأساسية التي تقدم للعروس من أجل التحضير لحفل الزواج.

هـ –الدين في مزاب:

بذل الاباضية جهدا واضحا حتى يبقى المجتمع و جميع أعضائه تحت رقابة مشددة و لتحقيق هذه الرغبة فقد اضطر الإباضيون إلى تطبيق عدة عقوبات و روادع من بينها قرار العزل أو التبرئة [2] الذي يعرفه علي يحي معمر أنه إجراء تأديبي يثبت على شخص ما عند ارتكاب المعصية، و لن يرفع عنه هذا الإجراء حتى يتوب، و إذا لم يتب و مات فإن العزابة لن تصلي عليه [3]ولم يكن يقتصر تنفيذ هذا القرار على الرجال فقط وإنما اشتمل على النساء كذلك و لأجل هذا أوجدت هيئة العزابة منظمة خاصة بالنساء يطلق عليهم هيئة المغسلات (التيمسريدين)[4] ، يذكر يوسف بن بكير الحاج السعيد حول هذه الهيئة أنها كانت موجودة

1- بالحاج الناصر المرجع السابق، ص – ص: 127 – 128.

2- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص: 223.

3- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص: 214.

4- ايميلي ماري جواشون، المصدر نفسه، ص: 224.

في القرن التاسع الهجري وتتمثل مهامها في غسل الأموات من النساء والصبيان الصغار ومحاربة البدع والولاءات الخرافية[1]

لقد شهد المجتمع المزابي رغم صرامته و تقواه الخرفات عديدة أنتجها التشبث الأعمى بالقديم من بينها إقامة الولائم أو المعروف على شرف الأولياء، إنشاء النصب التذكارية بالإضافة إلى زيارة قبور الأولياء من أجل الصلاة و التبرك بهم و طلب الخدمة كالزواج أو الحماية [2] ، يقول الشيخ إبراهيم بيوض واصفا هذه الأوضاع « ... سرت في المجتمع المزابي بعض الأمراض، كتقديس قبور الأولياء، يعتقدون أن لهم تأثير في الكون، و أنهم سبب في النفع و الضر للأحياء هذه العقيدة الخرافية للدين، ووجدنا في الأعراس عادات لا تليق من إسراف و غيره ، تضر صاحب العرس و المجتمع ...[3]».

أشار الشيخ البيوض في أخر حديثه عن عادات الإسراف في الحفلات في مزاب ,هي مسألة مهمة لا بد للحديث عنها و التي كانت قد تطرقت إليها المؤلفة في كتابها ، حيث تذكر أن مامان بنت سليمان [4]، قد طاردت بشدة مسألة الإسراف في الحفلات من خلال إصدار جملة من التعليمات من بينها التقليل من وضع المجوهرات و منع الزغاريد و الأغاني كما منعت تبادل الهدايا التي كانت تتم بين أهل العروس وأهل العريس رأفة بالفقراء[5] ، يذكر يوسف بكير الحاج في كتابه المرسوم بتاريخ بني مزاب على اثر هذا اتفاق قصور مزاب في مجلس الشيخ أم سعيد الذي كان سنة 1108 هـ - 1697م أن العرس إذا وقع لا يكون فيه خادمون في دار الزوج ... و اللعب و الرقص ممنوعان من البارود و الزفافين ، ثم اتفاق الذي كان أخر رجب من نفس السنة، الذي ينص على أن صاحب العرس لا يعطي إلا عشاء أربعة من الناس[6].

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص: 30.

2- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص – ص: 248 – 249.

3- قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج، المرجع السابق، ص: 83.

4- مامان بنت سليمان: ولدت خلال سنة 1280هـ / 1963 م في غرداية، درست العلوم الشرعية واللغة العربية مدة ثلاث سنوات، وفي سنة 1906 م تولت رئاسة الغاسلات خلفا للسيدة مامة بنت الحاج، ولقد شغلت مامة بنت الحاج سليمان المنصب ثلاثين سنة ... ينظر: يوسف بن بكير الحاج، المرجع السابق، ص: 286.

5- ايميلي ماري جواشون، المصدر السابق، ص: 261.

6- يوسف بن بكير، المرجع نفسه، ص – ص: 67 – 68.

2 – تقييم الكتاب:

إن القارئ لكتاب ايميلي ماري جواشون يجد اختلافا في منهج كتابتها مقارنة بمصادر أخرى تؤرخ لنفس الفترة التي يؤرخ لها الكتاب، فقد اتبعت المؤلفة المنهج السردي أقرب منه إلى التاريخ وهذا على أساس فصوله التي تروي لنا أحداث وعادات سائدة تخص المجتمع المزابي والمرأة خاصة خلال تلك الفترة باستثناء الفصل الأول الذي تضمن بعض التواريخ لوقائع حدثت في وادي مزاب.

اللف و الدوران و الإطناب من طرف المؤلفة في الكثير من الأحيان دون الوصول إلى المعنى أو الفكرة المقصودة بحيث تتطرق المؤلفة إلى فكرة ثم تنتقل إلى فكرة ثانية دون إتمام سابقتها لتعود من جديد إلى الفكرة الأولى ويظهر ذلك من خلال قولها: «لما توفي ثلاثة من الخلفاء بعد وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تدم السلطة لسهر النبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه بل سرعان ما انتقلت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان... ثم تواصل ... بعد أن أرغم علي على الصلح انفصل عنه أنصاره فسماهم الخوارج نظرا لخروجهم من صفه... ثم تعود لما انتقلت الخلافة الأموية إلى معاوية» [1].

ما يحسب على المؤلفة هو تنوع المصادر من عربية وأجنبية وروايات شفوية الذي انعكس على نص وهوامش الكتاب التي جاءت ثرية بتعريف الشخصيات والمصطلحات المذكورة في المتن إلى جانب اعتماد المؤلفة على صور وملاحق جاءت كإضافات وتوضيحات لما ورد في الفصول.

كانت المؤلفة موضوعية في كتابها وذلك من خلال المنهج الذي اتبعته والمتمثل في عملية نقل وسرد للأحداث من خلال الاعتماد على الروايات الشفهية، ولقد تخللت الكاتبة بعض من الذاتية حيث وجدناها تكتب في ضوء فهمها ومنظورها ولصالح بلادها ويظهر ذلك من خلال قولها: «لا يسمح إطار هذا العمل بمعالجة هذه المسألة هنا، ولكن من المستحيل أن نلمس الموضوع دون أن تقول كم يحتاج الأمر إلى مساعدات طبية عاجلة ... إن النتائج الممتازة التي تم الحصول عليها في غضون سنوات قليلة جعلت من واجبنا الحقيقي أن نفعل قدر الإستطاع لإنقاذه ولو بمعونة مادية ضئيلة »[2]، ما يلفت انتباهنا هو أن المؤلفة تحاول تحسين صورة فرنسا أمام مستعمراتها من خلال إبراز مساهمات فرنسا في تقديم المساعدات الطبية

1- ايميلي ماري جواشون، المرجع السابق، ص: 14.

2- ايميلي ماري جواشون، المرجع السابق، ص: 209.

والمعونات المادية المتوفرة من أجل الحد من انتشار الأمراض والأوبئة في المغرب معتبرة ذلك واجب والتزام من جهة أخرى تسعى المؤلفة بطريقة غير مباشرة على حث سكان أهالي منطقة مزاب للأخذ بالطب الفرنسي وخاصة بعد نجاح التجربة في المغرب.

مجمل القول إن كتاب الحياة النسوية في مزاب مصدر هام يحاكي تاريخ الاباضية، وجذورها عبر مراحل متعاقبة كما أنه ينقل لنا أحداث ومعلومات تهدف للتعريف بالحياة الأنثوية ونمط معيشتها خلال تلك الفترة من القرن المنصرم، وهذا أن دل إنما يدل على تميز المرأة المزابية التي كانت ولا تزال محط بحث وتقصي العديد من الدارسين بمختلف أجناسهم عبر الأزمنة.

الخـــــاتمـــــة

في الختام وكإجابة عن الإشكالية والتساؤلات المطروحة في المقدمة نستنتج ما يلي:

تعد المدرسة الإستشراقية الفرنسية من أبرز المدارس التي اهتمت بدراسة الشرق و ذالك لبروزها منذ ألاف السنين نظرا لصلات التي تربط بين فرنسا و العالم الإسلامي عن طريق محطات تاريخية من أبرزها الفتوحات الإسلامية و الحروب الصليبية التي انطلقت من سنة (491 هـ 1098م)، أما من ناحية المفهوم علمي أكاديمي للإستشراق فهو يرجع إلى الحملة الفرنسية التي شنها نابليون بونابرت على مصر سنه 1798م إضافة إلى ظهور مدرسة اللغات الشرقية بزعامة المستشرق الفرنسي سيلفستر دوساسي الذي تخرج على يديه كبار مستشرقين الفرنسيين أمثال لويس ماسي نون وبلاشير...الخ.

الجزائر كانت من أكثر الدول الإسلامية و العربية ارتباطا بفرنسا فقد أولتها اهتماما كبيرا لم يكن يقتصر على الحملة العسكرية فقط بل سبق ذلك بفترة طويلة ،و من هنا يمكن القول أن الإستشراق الفرنسي في الجزائر مر بثلاث مراحل ، المرحلة الأولى كانت بمثابة مرحلة استكشافية استطلاعية تهدف إلى التعرف على المجتمع الجزائري، أما المرحلة الثانية فقد تميز الإستشراق الفرنسي بالتوسع والانتعاش في جميع المستعمرات الفرنسية عن طريق الكراسي التي فتحت بمختلف اللغات واللهجات لجامعة الجزائر، أما المرحلة الثالثة فتميزت بالتوسع أكثر فأكثر وخاصة بعد نشأة المعاهد التي سعت لخدمة مشاريع الدولة الفرنسية ومخططاتها، وقد عرفت هذه المرحلة كذلك هزة عنيفة لاسيما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية و اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر سنة 1954.

و نلاحظ من خلال هذه المراحل التي سبق ذكرها هو الدعم التام من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية للإستشراق و هذا ما يدل على الارتباط الوثيق بين الإستشراق و سلطة الاحتلال، بهدف تحقيق العديد من الأغراض التي تخدم مصالحها و تدعيم نفوذها وتمكنها من فرض سيطرتها العسكرية والسياسية والثقافية على المجتمع الجزائري.

نستخلص أيضا من خلال هذه الدراسة أن كتابات المستشرقين كانت في شتى المجالات الدينية والعلمية والفنية، إلا أن أبرزها هو المجال الثقافي خاصة فيما يتعلق بفقه اللغة العربية ولهجتها (العامية الدارجة) التي لم تستطع فرنسا الاستغناء عنها كونها تشكل أداة تمكنهم من التواصل مع المجتمع الجزائري و سد حاجتهم الإدارية والاجتماعية .

تعدد المستشرقون والمستشرقات حسب تعدد مجالات اهتماماتهم ولعل من أبرز هؤلاء نذكر إيفون تيران التي قامت بدراسة السياسة الاستعمارية التي جسدتها فرنسا في الجزائر من خلال التطرق إلى ثلاثة جوانب متشعبة تمثلت في التعليم الممارسة الطبية والدين، فضلا عن ايفون تيران نجد المستشرقة اميلي ماري جوا شون التي حاولت أن تعطينا صورة واضحة عن المجتمع المزابي من خلال التطرق إلى اصوله وأسسه التنظيمية والتشريعية الخاصة بالأسرة والمرأة، ناهيك عن العادات والممارسات.

من خلال دراستنا لكتاب المواجهات الثقافية للجزائر المستعمرة نستنتج أن الحكومة الفرنسية في سنوات الأولى من الاحتلال لم تكن مهتمة بالجانب التعليمي وذلك لانشغالها بإخضاع القبائل الرافضة لسلطة الاحتلال و محاربة الثورات الشعبية المسلحة في كامل البلاد، إضافة إلى تركيزها على تعليم اللغة العربية للفرنسيين حتى تسهل مخططاتهم، لكن هذا لا يعني استغناء إدارة الإحتلال عن فكرة التعليم في الجزائر إنما اعتبرته كوسيلة لتحقيق مشروعها وكان لبعض الشخصيات دور بارز حيث دعمت هذه الفكرة بالعديد من الحجج من أبرزها استخدام التعليم لأغراض سياسية و محاولة غزو عقول الجيل الناشئ من الجزائريين وتربيتهم تربية غربية ليتم دمجهم داخل المجتمع الغربي.

كانت المحاولات الأولى لفتح المدارس من طرف الحكومة الفرنسية أمرا صعبا وذلك لعدة اعتبارات من بينها تلك الفرو قات الاجتماعية والدينية و ندرة المعلمين الذين يتقنون اللغة العربية ضف إلى هذا رفض الجزائريين ترك أطفالهم يلتحقون بالمدارس الفرنسية خوفا من أن ينشئوا على الثقافة الغربية وبالتالي ضياع الهوية والأمة الإسلامية على حد السواء.

كانت نتائج سياسة الحكومة الفرنسية إزاء التعليم العربي الإسلامي كارثية بالنسبة للجزائريين حيث قضت على جل الزوايا التي كانت منتشرة على كامل تراب الجزائري من خلال مصادرة أوقاف المسلمين التي تمثل المورد الأساسي للتعليم إضافة الى غلق المدارس وتحويل المساجد إلى كنائس ومستشفيات فرض الرقابة على الطلبة و الزوايا و تهجير و تقتيل أهل لعلم و الدين هذا الأمر الذي أدى إلى انتشار الأمية والجهل.

محاولات الطب في الجزائر خلال الفترة الممتدة مم سنة 1830م إلى غاية سنة 1854م كانت عبارة عن علاج يقدمه الجهاز العسكري الفرنسي يقوم عليه طاقم طبي يسهر على خدمة الأجانب من الفرنسيين

والأوربيين لكن مع تفشي الأمراض والأوبئة كالكوليرا والطاعون وغيرها من الأمراض لذلك كان على فرنسا أن تنشئ شبكات إستشفائية و مصحات متنقلة للحد من هذه الأمراض المنتشرة ، و يمكن القول أن اغلب هذه الأمراض كانت نتيجة لسياسة الاستعمارية المجحفة القائمة على النهب والتشريد.

لقد استفادت إدارة الاحتلال الفرنسي من انتشار الأمراض والأوبئة التي اصابت البلاد ذلك من خلال الأضرار التي حدثت للمجتمع الجزائري التي كانت سببا في إضعافه و إرغامه علي التخلي عن كل أشكال المقاومة وبالتالي وجدت السلطة الاستعمارية فرصة لتقرب من المواطنين الجزائريين من خلال استخدام الطب لأغراض سياسية بمحاولة كشف مزايا الأدوية وطرق العلاج الفرنسية الحديثة.

كان لرجال الدين دور كبير في مقاومة السياسة الفرنسية في مجال التعليم من خلال محاربة المدارس العربية الفرنسية و رفض سياسة الإدماج بإبراز أهدافها الخفية للشعب الجزائري ناهيك عن محاولتهم في توحيد الصفوف وتكثيف الجهود للقضاء على الإستعمار، هذا الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية تسعى لتضييق الخناق على هذه الوحدة الشعبية وذلك من خلال تشويه سمعة رجال الدين واعتبارهم متعصبين من ثم محاربتهم بكل الوسائل التي أتيحت لهم.

من خلال دراستنا لكتاب الحياة النسوية في مزاب للمستشرقة اميلي ماري جواشون نستنتج أن أصل سكان وادي مزاب يعود إلى أصول بربرية عربية جمعت كل من قبائل زناتة وإباضين فارين من تيهرت بعد سقوطها على يد الفاطميين، سكنوا وادي مزاب واستقروا فيه بعد ان أدركوا أنها منطقة ناشئة وبعيدة عن طريق القوافل ومواطن العمران، كما وجدوا فيها الوطن الحامي الذي يستطيعون فيه تطبيق مبادئهم وتنظيم حياتهم الاجتماعية دون تدخل أي سلطة مركزية أو اقليمية.

نستخلص كذلك أن المجتمع المزابي يسير بالتنسيق مع هيئة العزابة التي تمثل المرجعية الدينية وهيئة العوام كما نستنتج أن للعزابة دور كبير في تسيير شؤون المجتمع المزابي وذلك من خلال القوانين التي اصدرتها وكانت قد ضبطت مختلف مجالات الحياة الإقتصادية السياسية والاجتماعية حتى تلك المتعلقة بالأسرة والمرأة إضافة الى الزواج وشؤونه حيث حرصت هذه الأخيرة على حماية المجتمع من خطر المغالاة في أمور الزواج وكذلك بمنع كل أشكال التفاخر التي تظهر في المجتمع من حين لآخر.

المرأة المزابية ساهمت في النشاط العلمي والاقتصادي في مختلف قرى وادي مزاب وكان لها دور جلي في التربية والتنشئة الاجتماعية كما انها تبوأت رتبة لا تقارب مرتبة نظام العزابة وهو ما يعرف بنظام التيمسريدين أو هيئة الغاسلات التي كانت تمثل نظام عرفي وهيئة دينية نسوية مكملة لهيئة العزابة وخاضعة له.

كان للمستشرقتين الفرنسيتين إيفون تيران و إيميلي ماري جواشون دور مهم في دراسة تاريخ الجزائر و تدوينه بنقل أحداثه التاريخية في الفترة الاستعمارية خلال القرنين التاسع عشر و العشرين حتى يتسنى للأجيال القادمة الاطلاع عليها ، فكل مستشرقة قدمت لنا جانب معين من هذه دراسة حسب مجال اهتمامها مثلا إيفون تيران فضلت دراسة الأرشيف الفرنسي لمحاولة فهم المشاكل التي واجهت تطور المدارس العربية الفرنسية و الطب الأوروبي و إبراز مدى تأثير الخلفية الدينية لكل من الفرنسين و الجزائريين بقدم تاريخ شامل بوصف و تحليل هذه المظاهر الحضارية الثلاثة ، أما إيميلي ماري جواشون فقد خصصت في كتابها دراسة شاملة للمراءة المزابية و موروثها التقليدي في الجزائر فأحسنت في نقل صورة مجملة عن هذا المجتمع النسوي في تلك الفترة من القرن المنصرم لمحاولة استكشاف نمط عيشته و بالتالي كتابها ما هو إلا شهادة و مصدر مهم نقل لنا صورة للحياة النسوية في ميزاب بكل تفاصله الصغيرة التي كانت و لا تزال محط بحث و تقصي العديد من الدارسين بمختلف أجناسهم عبر الأزمنة .

الملاحـــق

ملحق رقم:01

النسخة الأصلية من كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830–1880م

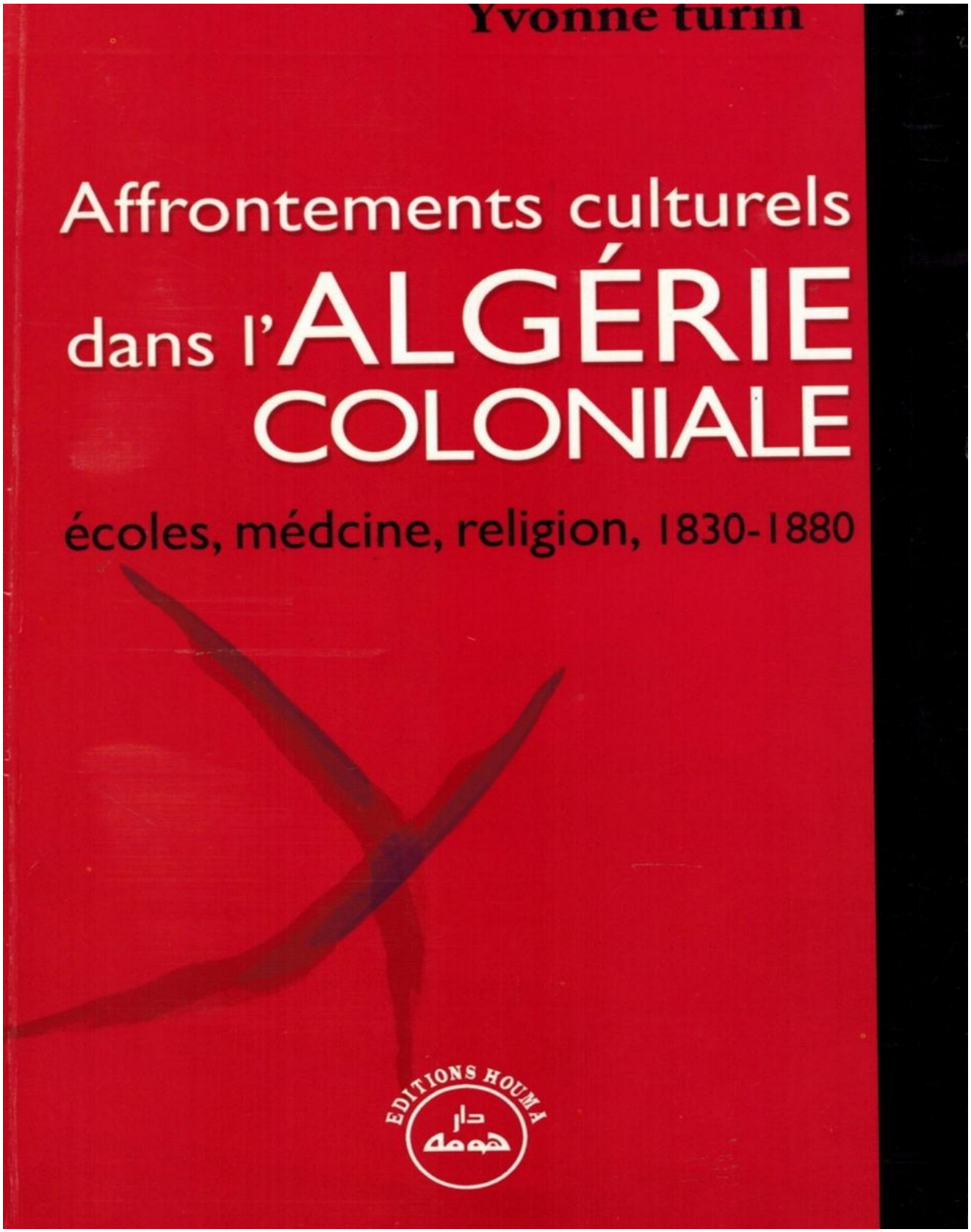

ملحق رقم: 02

فهرس كتاب المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830–1880م

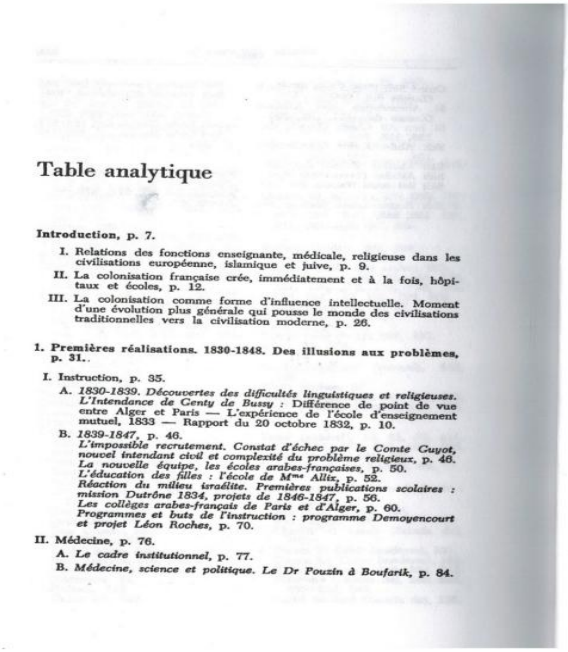

Table analytique

Introduction, p. 7.

I. Relations des fonctions enseignante, médicale, religieuse dans les civilisations européenne, islamique et juive, p. 9.

II. La colonisation française crée, immédiatement et à la fois, hôpitaux et écoles, p. 12.

III. La colonisation comme forme d'influence intellectuelle. Moment d'une évolution plus générale qui pousse le monde des civilisations traditionnelles vers la civilisation moderne, p. 26.

1. Premières réalisations. 1830-1848. Des illusions aux problèmes, p. 31.

I. Instruction, p. 35.

A. *1830-1839. Découvertes des difficultés linguistiques et religieuses. L'Intendance de Genty de Bussy : Différence de point de vue entre Alger et Paris — L'expérience de l'école d'enseignement mutuel, 1833 — Rapport du 20 octobre 1832*, p. 10.

B. *1839-1847*, p. 46.
L'impossible recrutement. Constat d'échec par le Comte Guyot, nouvel intendant civil et complexité du problème religieux, p. 46.
La nouvelle équipe, les écoles arabes-françaises, p. 50.
L'éducation des filles : l'école de Mme Allix, p. 52.
Réaction du milieu israélite. Premières publications scolaires : mission Dutrône 1834, projets de 1846-1847, p. 56.
Les collèges arabes-français de Paris et d'Alger, p. 60.
Programmes et buts de l'instruction : programme Demoyencourt et projet Léon Roches, p. 70.

II. Médecine, p. 76.

A. *Le cadre institutionnel*, p. 77.

B. *Médecine, science et politique. Le Dr Pouzin à Boufarik*, p. 84.

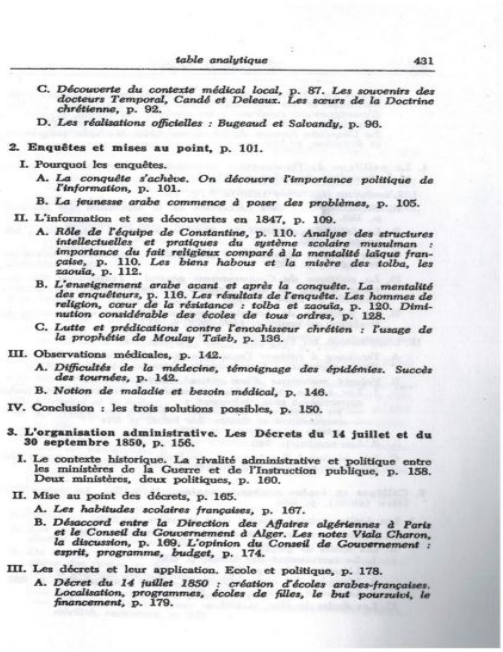

C. *Découverte du contexte médical local*, p. 87. *Les souvenirs des docteurs Temporal, Candé et Deleaux. Les sœurs de la Doctrine chrétienne*, p. 92.

D. *Les réalisations officielles : Bugeaud et Salvandy*, p. 96.

2. Enquêtes et mises au point, p. 101.

I. Pourquoi les enquêtes.

A. *La conquête s'achève. On découvre l'importance politique de l'information*, p. 101.

B. *La jeunesse arabe commence à poser des problèmes*, p. 105.

II. L'information et ses découvertes en 1847, p. 109.

A. *Rôle de l'équipe de Constantine*, p. 110. *Analyse des structures intellectuelles et pratiques du système scolaire musulman : importance du fait religieux comparé à la mentalité laïque française*, p. 110. *Les biens habous et la misère des tolba, les zaouïa*, p. 112.

B. *L'enseignement arabe avant et après la conquête. La mentalité des enquêteurs*, p. 116. *Les résultats de l'enquête. Les hommes de religion, cœur de la résistance : tolba et zaouïa*, p. 120. *Diminution considérable des écoles de tous ordres*, p. 128.

C. *Lutte et prédications contre l'envahisseur chrétien : l'usage de la prophétie de Moulay Taïeb*, p. 136.

III. Observations médicales, p. 142.

A. *Difficultés de la médecine, témoignage des épidémies. Succès des tournées*, p. 142.

B. *Notion de maladie et besoin médical*, p. 146.

IV. Conclusion : les trois solutions possibles, p. 150.

3. L'organisation administrative. Les Décrets du 14 juillet et du 30 septembre 1850, p. 156.

I. Le contexte historique. La rivalité administrative et politique entre les ministères de la Guerre et de l'Instruction publique, p. 158. Deux ministères, deux politiques, p. 160.

II. Mise au point des décrets, p. 165.

A. *Les habitudes scolaires françaises*, p. 167.

B. *Désaccord entre la Direction des Affaires algériennes à Paris et le Conseil du Gouvernement à Alger. Les notes Vials Charon, la discussion*, p. 169. *L'opinion du Conseil de Gouvernement : esprit, programme, budget*, p. 174.

III. Les décrets et leur application. Ecole et politique, p. 178.

A. *Décret du 14 juillet 1850 ; création d'écoles arabes-françaises. Localisation, programmes, écoles de filles, le but poursuivi, le financement*, p. 179.

2

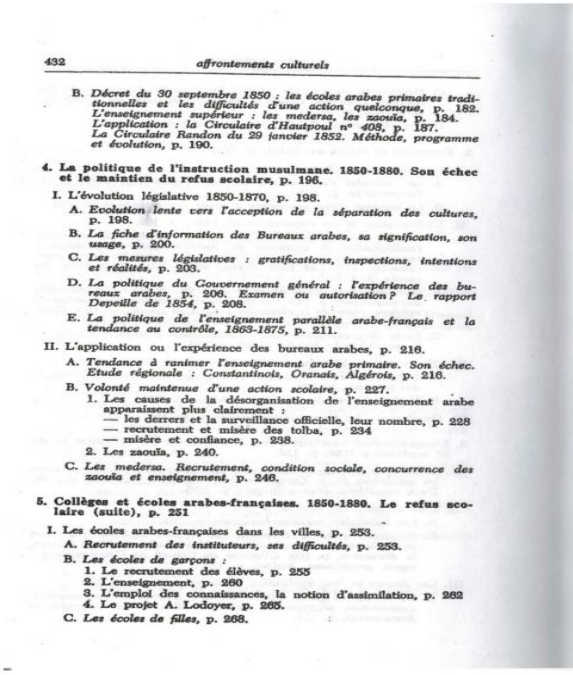

B. *Décret du 30 septembre 1850 ; les écoles arabes primaires traditionnelles et les difficultés d'une action quelconque*, p. 182.
L'enseignement supérieur : les medersa, les zaouïa, p. 184.
L'application : la Circulaire d'Hautpoul n° 403, p. 187.
La Circulaire Randon du 29 janvier 1852. Méthode, programme et évolution, p. 190.

4. La politique de l'instruction musulmane. 1850-1880. Son échec et le maintien du refus scolaire, p. 196.

I. L'évolution législative 1850-1870, p. 198.

A. *Evolution lente vers l'acception de la séparation des cultures*, p. 198.

B. *La fiche d'information des Bureaux arabes, sa signification, son usage*, p. 200.

C. *Les mesures législatives : gratifications, inspections, intentions et réalités*, p. 203.

D. *La politique du Gouvernement général : l'expérience des bureaux arabes*, p. 206. *Examen ou autorisation ? Le rapport Depeille de 1854*, p. 208.

E. *La politique de l'enseignement parallèle arabe-français et la tendance au contrôle, 1863-1875*, p. 211.

II. L'application ou l'expérience des bureaux arabes, p. 216.

A. *Tendance à ranimer l'enseignement arabe primaire. Son échec. Etude régionale : Constantinois, Oranais, Algérois*, p. 216.

B. *Volonté maintenue d'une action scolaire*, p. 227.
1. Les causes de la désorganisation de l'enseignement arabe apparaissent plus clairement :
— les derrers et la surveillance officielle, leur nombre, p. 228
— recrutement et misère des tolba, p. 234
— misère et confiance, p. 238.
2. Les zaouïa, p. 240.

C. *Les medersa. Recrutement, condition sociale, concurrence des zaouïa et enseignement*, p. 246.

5. Collèges et écoles arabes-françaises. 1850-1880. Le refus scolaire (suite), p. 251

I. Les écoles arabes-françaises dans les villes, p. 253.

A. *Recrutement des instituteurs, ses difficultés*, p. 253.

B. *Les écoles de garçons :*
1. Le recrutement des élèves, p. 255
2. L'enseignement, p. 260
3. L'emploi des connaissances, la notion d'assimilation, p. 262
4. Le projet A. Lodoyer, p. 265.

C. *Les écoles de filles*, p. 268.

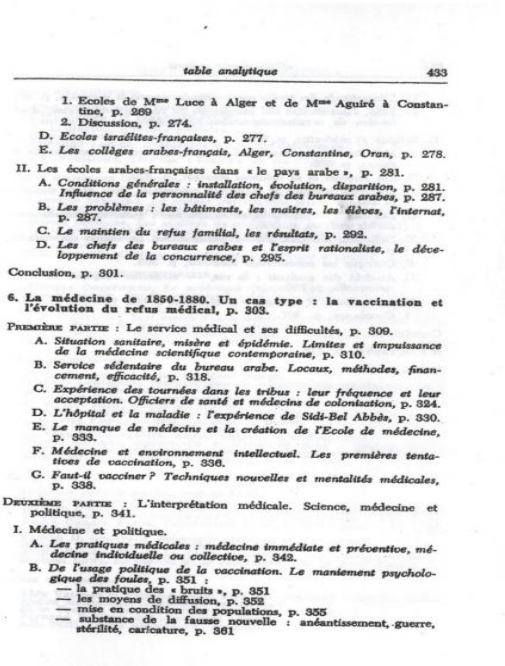

1. Ecoles de Mmes Luce à Alger et de Mmes Aguiré à Constantine, p. 269
2. Discussion, p. 274.

D. *Ecoles israélites-françaises*, p. 277.

E. *Les collèges arabes-français, Alger, Constantine, Oran*, p. 278.

II. Les écoles arabes-françaises dans « le pays arabe », p. 281.

A. *Conditions générales : installation, évolution, disparition*, p. 281.
Influence de la personnalité des chefs des bureaux arabes, p. 287.

B. *Les problèmes : les bâtiments, les maîtres, les élèves, l'internat*, p. 287.

C. *Le maintien du refus familial, les résultats*, p. 292.

D. *Les chefs des bureaux arabes et l'esprit rationaliste, le développement de la concurrence*, p. 295.

Conclusion, p. 301.

6. La médecine de 1850-1880. Un cas type : la vaccination et l'évolution du refus médical, p. 303.

PREMIÈRE PARTIE : Le service médical et ses difficultés, p. 309.

A. *Situation sanitaire, misère et épidémie. Limites et impuissance de la médecine scientifique contemporaine*, p. 310.

B. *Service sédentaire du bureau arabe. Locaux, méthodes, financement, efficacité*, p. 318.

C. *Expérience des tournées dans les tribus : leur fréquence et leur acceptation. Officiers de santé et médecins de colonisation*, p. 324.

D. *L'hôpital et la maladie : l'expérience de Sidi-Bel Abbès*, p. 330.

E. *Le manque de médecins et la création de l'Ecole de médecine*, p. 333.

F. *Médecine et environnement intellectuel. Les premières tentatives de vaccination*, p. 336.

G. *Faut-il vacciner ? Techniques nouvelles et mentalités médicales*, p. 338.

DEUXIÈME PARTIE : L'interprétation médicale. Science, médecine et politique, p. 341.

I. Médecine et politique.

A. *Les pratiques médicales : médecine immédiate et préventive, médecine individuelle ou collective*, p. 342.

B. *De l'usage politique de la vaccination. Le maniement psychologique des foules*, p. 351 :
— la pratique des « bruits », p. 351
— les moyens de diffusion, p. 352
— mise en condition des populations, p. 355
— substance de la fausse nouvelle : anéantissement, guerre, stérilité, caricature, p. 361

3

C. *L'incertitude des techniques médicales accroit la suspicion*, p. 369.

D. *1858, l'interdiction des campagnes de vaccination, et essai d'utilisation de vaccinateurs arabes après 1864*, p. 370.

II. Science et médecine, p. 374.

A. *Maladie et connaissance. Le médecin européen, paladin de la raison*, p. 375.

B. *Les femmes et le médecin étranger*, p. 379.

C. *Médecine curative et médecine préventive. Dieu et la maladie*, p. 381.

D. *Les atouts de la médecine européenne : quinine, produits mercuriels collyres*, p. 386.

E. *Difficultés d'emploi d'autres médications. La notion de maladie*, p. 389.

F. *Dialogue ou concurrence médicale*, p. 393.

G. *Au-delà des analyses : la vie, — médecine magique et magie rationnelle*, p. 396.

H. *Le médecin et sa science : du doute comme méthode*, p. 401.

I. *Conclusion*, p. 407.

Conclusion, p. 410.

Bibliographie, p. 418.

Index, p. 423.

ملحق رقـم:03

النسخة الأصلية لكتاب الحياة النسوية في مزاب 1927م الجزء الأول

A.-M. GOICHON

LA VIE FÉMININE AU MZAB

ÉTUDE DE SOCIOLOGIE MUSULMANE

PRÉFACE DE
WILLIAM MARÇAIS
Professeur au Collège de France
Membre de l'Institut

BIBLIOTHÈQUE ALGER de L'UNIVERSITÉ
EXCLU DU PRÊT

AVEC 19 PLANCHES

PARIS
LIBRAIRIE ORIENTALISTE PAUL GEUTHNER
13, RUE JACOB, (VIe)
1927

225.450 I

ملحق رقـم: 04

دليل كتاب الحياة النسوية في مزاب 1927م الجزء الأول

INDEX DES MATIÈRES

I. — La formation du groupe mozabite et sa législation familiale.... 1

Pourquoi la femme mozabite ne peut quitter le Mzab, 1. — Origine du parti des Khārijites, 2. — Son organisation secrète, 3. — Son expansion en Afrique du Nord, 3. — Fondation du royaume de Tâhert, 3. — Exode vers le Sud, 4. — Le centre de Sedrata, près Ouargla, 5. — Fondation des villes saintes du Mzab, 5. — Second exode, les Khārijites abāḍites se fixent au Mzab, 6. — Les tribus berbères du Mzab, 7. — Caractéristiques des villes saintes, 8. — La doctrine abāḍite, 8. — Austérité, 9. — Hiérarchie sociale, 10. — Pouvoir juridique, 11. — Le principal traité de droit abāḍite, 12. — Conservation actuelle du droit local dans les affaires privées, 12. — Situation économique du Mzab, 12. — L'oasis, 13. — Le commerce et les séjours prolongés dans le Nord, 13. — Interdiction à la femme de quitter le Mzab, 14. — Rôle social de la femme, 14. — La femme dans la tradition abāḍite, 15. — Situation de la femme dans la famille, 16. — Législation islamique du mariage, 17. — Modifications apportées par les Abāḍites, 19. — Privilèges accordés à la femme veuve ou répudiée, 21. — Fréquence de la monogamie, 23. — Législation de « l'absence », 23. — Organisation de la vie de famille, 24. — Réglementation des travaux ménagers, 25. — Devoirs et droits maternels, 25.

II. — Naissance..... 26

La sage-femme n'existe pas au Mzab, 26. — Premiers soins à l'enfant, 26. — On lui fait absorber de l'encre ayant servi à écrire des versets du

Coran, 27. — Lever de la mère, 27. — Réjouissances, le troisième jour, 27. — Précautions contre les *jnūn*, le quatrième jour, 29. — Toilette, le septième jour, 29. — Purification, le quarantième jour, 30. — Coupe des cheveux, 31. — Prénoms, 31. — Le berceau, 33. — Premiers progrès, 34. — Premier jeu, 35. — Le maillot, 36. — La layette, 36. — Manière de porter l'enfant, 36. — Alimentation du nourrisson, 37. — Première dent, 37. — Premiers pas, 39. — Premier anniversaire, 39. — Sevrage, 39. — Fête pour l'heureux avenir de l'enfant, 41. — La survie des enfants morts, les limbes, 42. — Parabole sur l'intercession de l'enfant en faveur de ses parents, 43.

IX. — Religion..... 219

Obligation de mener une vie pieuse, 219. — Nécessité d'une organisation religieuse féminine, 220. — Les laveuses des morts, 220. — Leur concile annuel, 222. — Leur « supérieure », 224. — Son enseignement, 226. — Son recueil préféré, 227. — Comment l'excommunication est appliquée, 228.

— Cas d'excommunication, 231. — Valeur de l'aveu, 235. — Quelques pénitences, 236. — Cas de conscience, 236. — L'aveu au lit de mort, 237. — Préceptes moraux enseignés aux femmes, 238. — Application du précepte de l'aumône, 239. — Les prières, 240. — La *çalāt el-ḫuçūmi*, 242. — Le jeûne, 242. — La neuvième nuit de Ramaḍān, 243. — Abstentions en Ramaḍān, 244. — Vénération des tombes, 245. — Les stèles, 245. — Statue de Sīdi Sa'd, 246. — Autres pèlerinages, 246. — La religion dans la société féminine du Mzab, 247.

X. — Vieillesse et mort..... 249

Vieillesse précoce, 249. — Occupations des femmes âgées, 250. — Leur mise, 250. — Les « centenaires », 250. — Derniers moments, 251. — Ensevelissement, 251. — Condoléances, 252. — Funérailles, 252. — Récitations et aumônes pour l'âme de la morte, 253. — Châtiment dans la tombe, 253. — Cimetières, 254. — Complainte, 255.

Conclusion..... 257

APPENDICE

Recettes de cuisine..... 261

Semoule et légumes secs, 261. — Légumes frais, 263. — Plats de viande, 263. — Pâtisseries, 265. — Boisson, 267.

VI. — Rêves maternels..... 140

Rêves chantés, 140. — Craintes et espoirs, 142. — Fête pour obtenir la naissance d'un fils, 142. — Désir d'avoir un fils, 142. — Déception affectée à la naissance d'une fille, 143. — Berceuse pour les petits garçons, 144. — Réponses aux mauvaises langues, 146. — Berceuse pour les petites filles, 147.

VII. — Les joies et les peines..... 151

Austérité de vie en l'absence du mari, 151. — Surveillance du chargé d'affaires, 152. — Premier retour du jeune homme, chants, 152. — Les fêtes ; la pluie d'automne, 155. — Le jour de l'an, *'âšûra*, 156. — La fête des sacrifices, *el'id el-kbîr*, 158. — Prière sur la victime, 158. — Consommation de sa chair, 159. — La *ziyâra* pour l'anniversaire de la circoncision de Moḥammed, 160. — Anniversaire de sa naissance, le *Milûd*, 161. — Toilette des femmes, 162. — Fête chez le caïd, les danseuses, 163 — Prières à la mosquée la nuit du *Milûd*, 164. — Médecine familiale, 165. — Massage, 166. — Ventouse, 166. — Pointes de feu, 168. — Traitement des panaris, 168. — Appareils de fractures, 169. — Maladies d'enfants ; hernie ombilicale, 169. — Maux d'yeux, 170. — Diarrhée, 170. — Coqueluche, 170. — Rougeole, 171. — Convulsions ; légendes et amulettes, 171. — Syphilis, 172. — Mort des proches, 173. — Caractères de la sensibilité chez les femmes, 173. — Défense de pleurer, 174. — Chant sur la mort, 175. — Deuil, 176. — Veuvage, 176. — Fête à l'expiration du délai légal, 177. — Motifs de répudiation, 178. — L'enfant naturel, 179. — Pénitences acceptées par sa mère, 180. — L'enfant adoptif, 180. — Malédiction, 181. — Situation faite à l'enfant par le divorce, 181. — Divorce interdisant à la femme de se remarier, 182. — Recours à la magie par crainte de divorce, 182.

الملحق رقم: 05

النسخة المترجمة من كتاب المواجهات الثقافية للجزائر المستعمرة 1830 – 1880

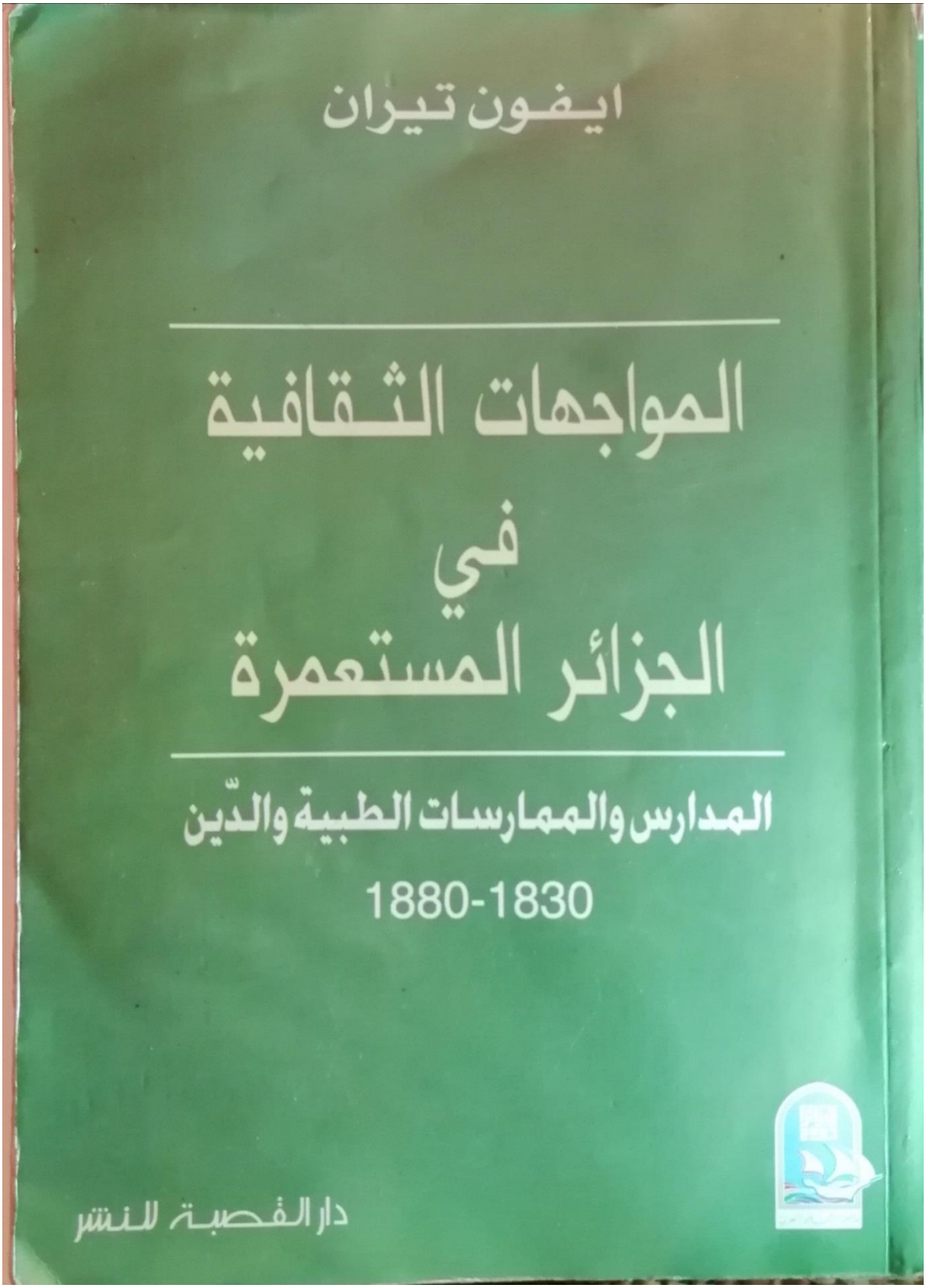

الملحق رقم: 06

الفهرس النسخة المترجمة من كتاب المواجهات الثقافية للجزائر المستعمرة 1830 – 1880

الفهرس

تقديم المؤلفة 9

المقدمة 11

1. الإنجازات الأولى المحققة (1830 - 1848)

من الأوهام إلى المشاكل 37

I. خلاف بين الجزائر وباريس 40

من تعقد المشكلة الدينية إلى المدارس العربية – الفرنسية 52

II. الطّب 84

الإطار التنظيمي للمستشفيات 84

2. الأهمية السياسية للمعلومات 113

I. من الإستطلاعات إلى السوسيولوجية الكولونيالية 113

II. اكتشاف الآخر 120

التعليم العربي قبل وبعد الإحتلال 125

مناهضة المحتل المسيحي 143

III. ملاحظات طبية 148

الحلول الممكنة 155

3. التنظيم الإداري

مرسوما 14 جويلية و30 سبتمبر 1850 163

I. تنافس بين وزارتي الحرب والتعليم ! 165

II. العادات المدرسية الفرنسية 171

III. المدرسة والسياسة 182

4. من سياسة التعليم الإسلامي إلى رفض التمدرس (1850 — 1880) 201

I. المكاتب العربية 202

II. التعليم العربي الإبتدائي «الحر» 219

5. من الثانويات والمدارس العربية الفرنسية إلى رفض التمدرس 255

I. المدارس العربية – الفرنسية وتوظيف المعلمين 256

II. من المدارس العربية – الفرنسية إلى مشاكل البنايات والإقامة والتوظيف 283

6.الطب من 1850 إلى 1880

التلقيح وتطور الرفض الطبي: نموذجا 309

I. صعوبة الخدمة الطبية 315

II. العلم والطب والسياسة 343

1. من قبول العلاج الطبيّ إلى رفض التلقيح 344

2. المرأة الجزائرية والطبيب الأجنبي 372

الخلاصة 413

الملحق رقم: 07

النسخة المترجمة من كتاب الحياة النسوية في مزاب

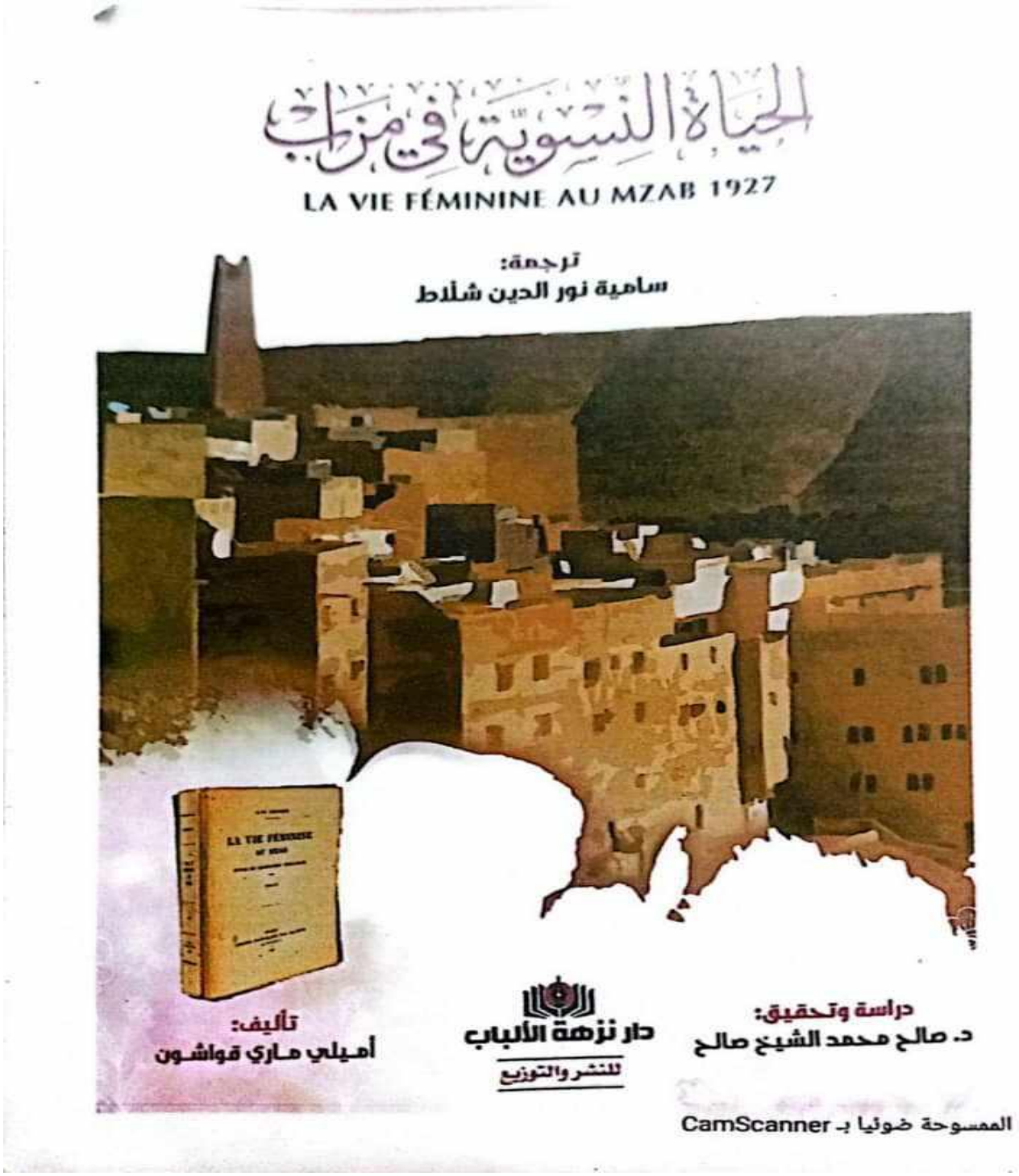

الملحق رقم: 08

فهرس النسخة المترجمة من كتاب الحياة النسوية في مزاب

الفهرس

تقديم 3

نبذة عن المؤلف.....5

مقدّمة المترجم.....6

مقدمة المؤلف.....9

الفصل الأول: تنظيمات المجتمع المزابي وتشريعاته العائلية 11

الفصل الثاني: الميلاد.....37

الفصل الثالث: الطفولة 55

الفصل الرابع: الزواج 91

الفصل الخامس: النساء الشابات 119

الفصل السادس: أحلام الأمومة 161

الفصل السابع: الأفراح والأقراح 177

الفصل الثامن: الدين 221

الفصل التاسع: مغسلات الموتى يحاربن العادات البربرية.....253

الفصل العاشر: الشيخوخة والوفاة 269

الخلاصة 279

الملحق 283

وصفات المطبخ 283

النصوص.....302

المجوهرات.....335

الزخارف المطرّزة للخمري "المخبّل".....356

زخارف أخرى لـ "خمري مخبّل".....358

قائمة المصادر والمراجع

أ-قائمة المصادر:

1-جواشون ايميلي ماري، الحياة النسوية في مزاب، 1927 تر: ساميه نور الدين شلاط، دار نزهة الألباب، دط، غرداية،2019.

2-خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، منشورات ANEP، دط، 2005.

3-سيمون فايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر: أبو سعيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974.

4-شاخت جوزيف، كليفود بوزوث، التراث الاسلامي، ج1، تر: مُحَّد زهير السمهري واخرون، دار المعارف التجارية، الإسكندرية، 1978.

5-كميل رسلير، السياسة الثقافية بالجزائر أهدافها وحدودها1830-1962، تر: نذير طيار، دار الكتاب الجديدة للنشر الإلكتروني، ط1، 2016.

6-مُحَّد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش، الإسكندرية ،1903.

7- معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3، عمان، 2008.

ب-المراجع:

8- أبو الروس أيمن، نابليون بونبارت إمبراطور فرنسا الذي اكتسح أوروبا ثم وقع في الفخ الروسي، مكتبة ابن سينا، ط1، القاهرة، 2013.

9- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج3، ج6، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1998.

10- أبو قاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

11- الأشرف صلاح حمد حسين، الإستشراق مفهومه وأثاره، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية، السعودية.

12- أعوشت بكير بن سعيد، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية مكتبة وهب، ط3، القاهرة، 1988.

13- أعوشت بكير بن سعيد، وادي مزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية نهج طالبي أحمد، غرداية-الجزائر،1991.

14- بقاش خديجة، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830_1870، دار حلب، دط.

15- بن بكير الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، ط4، د م ن، 2017.

16- بن حبيلس شريف، الجزائر الفرنسية كما لم يراها أحد الأهالي، تر: عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة يونس، دار المسك، د ب ن، د س ن.

17- بن نبي مالك، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1969.

18- بيطار زينات، الإستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، دار علم المعرفة، د ب ن، 1998.

19- تركي بن خالد الضفيري، الإستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية، دار التأصيل، ط2، 2010.

20- تيران ايفون، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدرس والممارسات الطبية والدين، دار القصبة الجزائر، 2007.

21- جواشون ايميلي، فلسفة ابن سينا وأثرهما في أوربا خلال القرون الوسطى، تر: رمضان لاند، ط1، 1950.

22- الجيلند مُحَّد السيد، الإستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء، القاهرة، 1999.

23- الحسن حسن ابراهيم، التاريخ الاسلامي السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ج1، دار النهضة المصرية، ط14، القاهرة، 1996.

24- حسن عباس، النحو الوافي مع ربطه بأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، ط3، القاهرة. -النبهان مُحَّد فاروق، الإستشراق تعريفه مدارسه أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسكو، 2012.

25- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، دط، الجزائر، 1999.

26- حميش بنسالم، العرب والإسلام في مرايا الإستشراق، دار الشروق، ط1، 2001.

27- خياطي مصطفى، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية، دار منشوراتANEP.

28- خياطي مصطفى، حقوق الإنسان في الجزائر خلال الإحتلال الفرنسي، منشورات، ANEP، دط، د ب ن، د س ن.

29- داود عمر، الحركة التبشيرية في الجزائر، نشاط الأباء والأخوات البيض في غرداية أنموذجا، دار نزهة الألباب، دط، الجزائر، 2016.

30- درويش احمد، الإستشراق الفرنسي والادب العربي، دار الغريب.

31- دودو ابو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830_1800، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1975.

32- زغلول فؤاد سعد، الجزائر معركة التحرير، دار الكتب الشرقية، ط1، تونس، 1957.

33- زقزوقة محمود حمزي، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار منار، ط2، القاهرة،1989.

34- الزيادي مُحَمَّد فتح الله، الإستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة إبن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998.

35- السباعي مصطفى، الإستشراق والمستشرقون مالهم وعليهم، دار الوراق.

36- سعد آل حميد، أهداف الإستشراق ووسائله، دار رزان، جامعة آل سعود، د ب ن، د س ن.

37- سمايلوفيتش احمد، فلسفه الاستشراق وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر،2004.

38- الشيخ بالحاج قاسم بن أحمد، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1832-1962، جمعية التراث، ط1، غرداية، 2011.

39- صبرة عفاف، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية، دط، دب ن، د س ن.

40- الصديق مُحَمَّد صالح، كيف ننسى جرائمهم؟، دار هومة، الجزائر، 2009.

41- الطاهر وعلي مُحَمَّد، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1900، دراسة تاريخية تحليلية، دار حلب، الجزائر، 2009.

42- عبد الفتاح مصطفى إسماعيل، الإستشراق بين النشأة والأهداف، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية، دط، مصر.

43- عثمان الطيب ليليان، صورة المرأة الجزائرية في لوحات الرسام الأمريكي المستشرق فريدريك أرثر بريد جمان، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ط1، ألمانيا، 2022.

44- العروسي المطوي مُحَمَّد، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982.

45- علي مُحَمَّد إسماعيل، الإستشراق بين الحقيقة والتضليل الكل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط3-ط6، القاهرة، 2000.

46- الكندي مُحَمَّد بن ابراهيم، بيان الشرع، ج3، وزارة التراث القومي والثقافة، دط، عمان، 1984.

47- مجاهد مسعود، تاريخ الجزائر، ج1، دار الأيتام الإسلامية، القدس _فلسطين، 1969.

48- محساس نجاة سليم، مفاتيح علم التاريخ، دار زهرات، دط.

49- معريش مُحَمَّد العربي، الإستشراق الفرنسي والمغرب والمشرق من خلال المجلة الأسيوية 1822-1872، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2009.

50- مقداد محمود، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، علم المعرفة، دط، دب ن، 1999.

51- المنصور مبروك الشيباني، صناعة الأخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر من الإستشراق الى الإسلامو فوبيا، دار المركز، ط1، بيروت، 2014.

52- المهدي عدنان، التعليم في الجزائر أصول وتحديات، دار المثقف، ط1، 1439هـ-2018م.

53- النملة علي إبراهيم، كنه الإستشراق المفهوم الأهداف الارتباطات، دار بيسان، ط3، لبنان، 2011.

ج-المصادر والمراجع الأجنبية:

54- Amelie Marie Goichon، La vie feminine au mzab Etude de sociologie muslumane، T1, librairie orientaliste paul Guthner, Paris,1927.

55- Marcel Morand، Les kanouns du mzab، Adolphe jourdan، Alger،1903.

هـ-المقالات المنشورة:

56- بوخوش سعيد، من مظاهر السياسة الفرنسية ومحاربة اللغة العربية في الجزائر إبان الإحتلال الفرنسي، مجلة اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة.

57- تالي جمال، الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل، مجلة الحقائق للدراسة النفسية والاجتماعية، ع 6، جامعة المسيلة.

58- رامي مُحَمَّد، دور الإستعمار الفرنسي في تفشي الأمراض والأوبئة بالجزائر خلال القرن 19م، مجلة عصور، م10، ع04، 2020.

59- أبو عمران الشيخ، مقاومة الزوايا الإستعمارية في بداية الاحتلال من خلال "المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من 1830-1880"، مجلة الدراسات الإسلامية، م7، ع14، 2008.

60- الثقفي عبير أحمد فاضل، لمحة تاريخية من الحركة الإستشراقية ووسائلها، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ع35، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

61- المسوي سلمى حسن علوان، التطور التاريخي للإستشراق الفرنسي حتى القرن العشرين مجلة الكلية الإسلامية الجامعية، ع5، 2008.

62- آيت حبوش حميد، واقع التعليم في الجزائر أواخر العهد العثماني، دورية كان التاريخية، ع37، 2018.

63- بخوش صبيحة، وضعية التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، حوليات التاريخ والجغرافيا، م1، ع2، 2008.

64- بشيش فريد سعيد، البرامج التعليمية الإستعمارية الفرنسية ودورها في سلب هوية الطفل الجزائري، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع188، م1. 2018.

65- بن قسمية رشيد، المدرسة الإستشراقية الفرنسية وجهودها في جمع المخطوطات العربية وتحقيقها وترجمتها ابان فتره الاحتلال 1830-1962، مجله اشكاليات اللغة والآداب، م10، ع2، بوسعادة، 2021.

66- بوتشيشة عبد القادر، لافيجري والتنصير في الجزائر ضخامة الإمكانيات والجهود وضآلة النتائج والمردود قرى العرب النصارى أنموذجا، مجلة العلمية، م11، 2019.

67- -بوشيبة ذهبية، العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، ع3-4، 2012.

68- -جعيجع مُحَمَّد، دور الإستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

69- -جوهري مارية، الإستشراق الفرنسي والإرث الكولونيالي، مجلة الدراسات الإستشراقية، ع 11، 2020.

70- -حلوش عبد القادر، الكولون الفرنسي والتعليم الفلاحي في الجزائر، مجلة العصور، م1، ع2، 2000.

71- -حمو عبد الكريم، دور المستشرقين في احتلال الجزائر، د س ن.

72- -حميدة سعاد، الإستشراق الفرنسي والثقافة الشعبية الجزائرية، مجلة دراسات إنسانية وإجتماعية، ع2، الجزائر، 2022.

73- -خالدي مُحَمَّد، الإستشراق الفرنسي وأثره في نشأة الفن التشكيلي، مجلة جماليات، م1، ع5، جامعة أحمد بن بلة وهران 01، 2018.

74- -خالدي مُحَمَّد، المسرحيين وأثرهم الفكري والفني في الجزائر، مجلة الأثر، ع13، جامعة تلمسان، 2012.

75- -خريوش عبد الرؤوف، دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية الى الغرب، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع15، 2009.

76- -دباب زهية، بروس وردة، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيوتاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، م 21، ع 1، 2021.

77- دريوش سهيلة، الاستشراق الفرنسي بالجزائر بين 1830_1930 قراءة في مقال لهنري ماسي ترجمة مُحَّد يحياتن، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

78- -رضا مُحَّد، مراجعة الإستشراق في مجلة الفكر العربي العددين 32،31، مجلة أفاق الحضارة الإسلامية، ع6، 2000.

79- -رقب عثمان، الطبيب في أواسط الإستعمار بالجزائر خلال القرن التاسع عشر بين المهام الإنسانية والدعاية، مجلة تاريخية، م3، ع3، 2021.

80- زيتوني حمزة إسحاق، استنجاد الملك الفرنسي فرانسوا الأول بالجزائر إثر الغزو الإسباني للمملكة والجزائر 1543، مجلة البدر، م11، ع 10، 2018.

81- سيد علي مسعود، الإستشراق الأنثروبولوجي الفرنسي بالجزائر وارتباطاته بالتنصير، مجلة قضايا تاريخية، ع 2، جامعة المسيلة، 2016.

82- -شافو رضوان، الطب الإستعماري الفرنسي في مواجهة الأمراض والأوبئة بالجزائر (1830-1860)، مجلة الحوار المتوسطي، م13، 2021.

83- العامر مُحَّد بن عبد الله، المدرسة الإستشراقية الفرنسية، المجلة العلمية لكلية العلوم والآداب لمحافظة الرس، م33، ع 3، 2023.

84- -عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، ع ٧٦، ١٤٠٣-١٩٨٣.

85- -علامة صليحة، الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية (آداة للهيمنة ونقل التنصير، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع18.

86- غانم إسلام عبد الله الغني، مناهج دراسة التراث عند المستشرقين المنهج التاريخي المنهج الوصفي المنهج الأنثروبولوجي أنموذجا، مجلة الوراق للدراسات الإجتماعية والانسانية، م4، ع2.

87- -غانم أيمن مُحَّد، نظرة تاريخية في أوضاع التعليم في الجزائر خلال العهدين العثماني وحتى قيام الحرب العالمية الأولى (1518-1914) المدارس أنموذجا، مجلة أبحاث لكلية التربية الأساسية، م19، ع1، 2023.

88- -قرناب عبد الرؤوف، المدرسة الاستشراقية في الجزائر فترة الإحتلال الفرنسي، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، ع 8، جامعه الجزائر 01، 2018.

89- -كركار جمال، ترجمة المستشرقين للنص الديني فترة الإحتلال الفرنسي أنموذجا، مجلة المعارف، ع6، المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج البويرة.

90- -لزغم فوزية، الطب والأطباء لمدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال كتاب الطب الشعبي الجزائري في بداية الإحتلال لـ ألبر فون شونبيرغ، مجلة المعارف والدراسات التاريخية، ع21، 2019.

91- محجوبي زهرة، المخططات العسكرية الفرنسية لاحتلال الجزائر 1740-1830، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، 2020.

92- النصر الله جواد كاظم، الكعبي شهيد كريم، الإستشراق الفرنسي والبعثات اليوسعية لقاء الإستشراق والتبشير، مجلة الدراسات الإستشراقية، ع 04، 2010.

93- هلايلي حنيفي، المترجمون في الجيش الفرنسي آليات وركائز للإدارة الاستعمارية في الجزائر (1830-1962)، مجلة الحوار المتوسطي، ع11، جامعة سيدي بلعباس، 2016.

94- الهنداوي خليل، رحلة الكتاب العرب في الإستشراق الفرنسي، مجلة المعرفة، ع 13، 1972.

95- هيصام موسى، مُحَّد بن شنب والمحافل الاشتراكية مؤتمر الجزائر 1905 نموذجا، سلسلة محاضرات الملتقى الدولي مُحَّد بن شنب والاستشراق، منشورات مديريه الثقافة، 17 ديسمبر، 2014، المدية.

و-المقالات المنشورة باللغة الأجنبية:

96- Boyer pierre, Yvonne Turin, affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles Médecines, Religion, 1830_1880, in : revue de l'occident musulman et de la Méditerranée, n°9, 1971 : https://www.persee.fr/doc/remmm_00351474_1971_num_9_1_1116

97- Colonna Fanny, Turin. Y, affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles Médecines, Religion, 1830_1880, in : Revue Française de sociologie, 1972 : https://www.persee.fr/doc/rfsoc_00352969_1972_num_13_1_2045

98- Herren, Beatrice, Miguel de Unamuno, universitaire (in : Revue suisse d'histoire, 1965 : http://www.e-periodica.ch/

99- Leimdorfer François, Yvonne Turin, affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles Médecines, Religion, 1830_1880 , in :tiers-monde, T19, N°76, 1978 : https://www.persee.fr/doc/tiers_00407356_1978_num_19_76_2844_t1_0903_0000_2

100- Rebecca Rogers, Yvonne Turin, 2022, hal-03913377: https://hal-univ-paris.archives-ouvertes.fr/hal-03913377

101- Yacono Xavier, Yvonne Turin, affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles Médecines, Religion, 1830_1880 , in : Revue d'histoire moderne et contemporaine, T20, N°2 ,1973 : https://www.persee.fr/doc/rhmc_00488003_1973_num_20_2_2252_t1_0342_0000_2

ز-الموسوعات والمعاجم:

102-إبن المنظور، لسان العرب، ج4، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2013.

103-البدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993.

104-رضا أحمد، معجم متن اللغة موسوعة اللغوية الحديثة، م3، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1909.

ح-الرسائل وأطروحات الجامعة:

105-أسماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي مزاب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1982-1987.

106-بليل وداد، الترجمة في الجزائر ابان الإحتلال الفرنسي، أطروحة مقدمة لنيل دكتورة، قسم اللغة والآداب، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2016-2017.

107--بن عمارة ابراهيم، الإستشراق المعاصر ودوره في صنع السياسة الخارجية لأمريكا تجاه منطقة الشرق الأوسط، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة "ل، م، د" في العلوم السياسية كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة وهران، 2018-2019.

108-دادي حمو ابراهيم، أثر العوامل الثقافية والإجتماعية على ثقافة المقاولة عند بني مزاب، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة في اقتصاد وتسيير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، جامعة الجزائر، 2020-2021.

109--عبد الحميد برقية، الإستشراق الفرنسي في الجزائر فيما بين 1879-1962، دراسة تاريخية فكرية، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة في الطور الثالث، تاريخ معاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة.

110-المحسن بن علي بن صالح سويس، مؤتمرات المستشرقين العالمية نشأتها تكوينها أهدافها، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة، جامعة مُحَمَّد بن سعود، السعودية.

111-ناصر بلحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتورة في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة٢٠، 2013-2014.

الفـــــــهرس

فهرس المحتويات

الإهداء.....	
الشكر والتقدير.....	
قائـــــــــمة المختصرات.....	
مقدمة.....	أ - ز
الفصل الأول: الاستشراق الفرنسي في الجزائر.	
المبحث الأول: الإستشراق المفهوم النشأة.....	20-9
1-مفهوم الاستشراق.....	09
2-نشأة الاستشراق.....	11
3-دوافع الاستشراق ووسائله.....	18
المبحث الثاني مدرسة الاستشراق الفرنسي.....	28-20
1-مراحل تطور المدرسة الاستشراقية.....	20
2-مظاهر نشاط المدرسة الاستشراقية الفرنسية.....	25
3-خصائص المدرسة الاستشراقية الفرنسية.....	27
الفصل الثاني: قراءة في كتاب المواجهات الثقافية للجزائر المستعمرة 1830-1880(ايفون تيران).	
المبحث الاول: نبذة تعريفية عن المؤلفة.....	40-37
1-نشأتها ومولدها.....	37
2-إنتاجها العلمي.....	38
المبحث الثاني: الدراسة الشكلية للكتاب.....	47-40
1-تقديم الكتاب.....	41
2-محتوى الكتاب.....	42

3-مصادر المؤلفة.....	47
المبحث الثالث: الكتاب برؤية نقدية.....	67-49
1-محاور الكتاب الاساسية.....	50
2-تقييم الكتاب.....	63
الفصل الثالث: قراءة في كتاب الحياة النسوية في مزاب 1927 اميلي ماري جوا شون.	
المبحث الأول: نبذة تعريفية عن المؤلفة.....	70-69
1-نشأتها ومولدها.....	69
2-إنتاجها العلمي.....	70
المبحث الثاني: الدراسة الشكلية للكتاب.....	75-71
1-تقديم الكتاب.....	71
2-محتوى الكتاب.....	72
3-مصادر المؤلفة.....	75
المبحث الثالث: الكتاب برؤية نقدية.....	86-77
1-محاور الكتاب الأساسية.....	77
2-تقييم الكتاب.....	85
خاتمة.....	88
ملاحق.....	93
قائمة مصادر ومراجع.....	105